ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1051 - الجمعة 23 ذو القعدة 1424 هـ - الموافق 16 يناير 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

الحج المبرور وصفاته

خذ العفو وامر بالعرف

يسألونك عن حج الرسول (ص)

علم التوقيت والاختراع المغربي في آلة ربع الشعاع

القرآن وهيمنته على التشريع

العدل أساس سعادتي الدنيا والآخرة

عفو ملكي ارتاح له الضمير الإنساني

(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)

حديث نبوي شريف

لقد عود العرش العلوي المجيد الإنسانية بحنوه وعطفه وترفعه وسعيه لإصلاح البشرية وعدم المس بكرامة أي كان، وإن سلوك الملوك العلويين المثالي تتجلى فيه الرحمة بعباد الله.

والكل يعلم أن هاته الدوحة النبوية الشريفة لا تقابل السيئة بالسيئة، ولكن تقابلها بالإحسان وتعامل من شذت أخلاقه بالصبر عليه والعفو عنه.

وهذه المعاملة الإنسانية الرحيمة عرفت في الملوك العلويين وورثها الخلف عن السلف تمسكا بسنة جدهم المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يعفو ويصفح عند المقدرة في كل وقت وحين لذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول : «*إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه*» ها هو أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتمكين ينعم بعفو ملكي خاص على ثلاث وثلاثين من المحكوم عليهم في قضايا مختلفة رحمة بهم ومراعاة لحقوق الإنسان والحفاظ على تكريمه وحرصا على إدخال السرور على عائلاتهم وذويهم وكل من يتطلع لتكريم الإنسان من حيث هو ... ولقد كان لهاته الالتفاتة المولوية أحسن صدى وأطيبه في الداخل والخارج، فلقد ثمنت الصحف الأجنبية والوطنية هذا الموقف الإيجابي العظيم من نوعه، وتسابقت زعماء الهيئات السياسية للثناء عليه وتمجيده.

كما أثار إعجاب القادة والمفكرين وكل مناصري حرية الرأي المدافعين عن حقوق الإنسان من جميع الأجناس والميولات والمعتقدات لما يحمل هذا العفو الملكي من ترسيخ للقيم وتوطيد لقداسة المشروعية وتمجيد لمثالية القانون...

لقد تكلمت الإذاعات والصحف عن أهمية قرار العفو الملكي وما يرمي إليه من إصلاح تحتاجه المسيرة الإنسانية في كل وقت وحين.

إن الأمن والاستقرار والتقدم والازدهار لا يمكن لأي دولة أن تحققه إلا بالعدل في ظل المشروعية الباعثة على الأطمئنان شكلا وجوهرا.

إن أنظار العالم، اليوم، متجهة لأسلوب معاملات الإنسانية بعضها مع البعض كما أن أضواء المهتمين الكاشفة تطالعنا بما يجري ويدور في كل نقطة من بقاع العالم بإيجابياتها وسلبياتها.

كان صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»

إن هاته الالتفاتة الملكية الإنسانية الفريدة من نوعها التي أكرم بها سيدنا دام له العز والنصر والتمكين مجموعة من المحكوم عليهم في قضايا مختلفة غيرت موازين المفاهيم، وأعطت صورة لامعة ومشرقة لبلدنا وكانت هاته الخطوة المباركة الموفقة التي أقدم عليها سيدنا نصره الله نبراسا وهاجا ينير الطريق لكل من له غيرة على احترام الإنسان ومراعاة حقوقه.

فلا غيب الله أجر هذا العمل الإنساني عن أمير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين، ودام موئلا لكل ضعيف ومحتاج ومظلوم ومضطهد الذي يتجلى في عمله الإنساني قول الله تبارك وتعالى: 'وكان بالمؤمنين رحيما'.

أبقاه الله لنا حصنا حصينا، وركنا ركينا يسير بهاته الأمة إلى مصاف الدول الراقية موحدة الوطن بقيادة جلالته الحكيمة جالبا لها كل خير ودافعا عنها كل ضير محفوظا من كيد الكائدين ومؤامرات المتآمرين بجاه جده سيد الأولين والآخرين، مقرور العين بولي عهده سمو الأمير مولاي الحسن وبصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد وبجميع أفراد الأمراء والأميرات إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

بقلم النائب الأول لرابطة علماء المغرب

الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل بين الأولاد

نتابع في هذه السطور البيضاء بصحيفة ميثاق الرابطة الحديث عن العدل والعدالة في التوجيه الديني ونستمر في وقفتنا مع العدل بين الأولاد لأنه يكون الركيزة الجامعة في التربية على الأخلاق، وغرس أصول المحبة الأسرية، وإحاطتها بسياج من العدل يحفظها في دينها، ويؤهلها لأن تكون القدوة الصالحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في حديث الشعبي عن النعمان بن بشير: 'اعدلوا بين أولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف'.

فالرسول عليه الصلاة والسلام يوصي المومنين بالعدل بين الأبناء، كما يحب الآباء أن يعدلوا بينهم في البر والخير واللطف والعطف، لأن السلوك الذي يقوم المومن بغرسه في أبنائه سيعاملونه به، لطفا وإكراما وإحسانا ورحمة ومودة.

ومن صور العدل بين الأبناء الذكور والاناث ما نجده في حديث أبو الأشهب عن الحسن قال: 'بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه، إذ جاء صبي حتى انتهى إلى أبيه في ناحية القوم، فمسح رأسه وأقعده على فخذه اليمنى، قال: فلبث قليلا، فجاءت إبنة له (أنثى) حتى انتهت إليه فمسح رأسها وأقعدها في الأرض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم 'فهلا على فخذك الأخرى' فحملها على فخذه الأخرى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم 'الآن عدلت'.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شريعة

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

انبهار التجيبي بزخرفة روضة الإمام الشافعي

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ منذ حط التجيبي رحله بالقاهرة المعزية في طريقه إلى الحرمين الشريفين بالحجاز، وهو مشغول البال بلقاء كبار شيوخ العلم بالقاهرة، وقد تحدثنا في الحلقات الماضية عن اتصاله بالشيخ ابن دقيق العيد، ثم اتصاله بالحافظ التوني الدمياطي، وفي هذه الحلقة يحدثنا التجيبي عن زيارته للقرافتين. المقبرتين. الصغرى والكبرى، فيقول:

"وفي أثناء إقامتنا بمصر والقاهرة ترددت إلى القرافتين الصغرى والكبرى برسم زيارة قبور الأولياء، والفضلاء، نفع الله بزيارتهم... وأول يوم دخلت فيه القرافتين المذكورتين كان يوم السبت الثالث عشر لجمادى الأولى من سنة ست وتسعين وستمائة، فقابلت بهما وخصوصا بالصغرى منهما، من الروضات الشريفات المحتوية على أعضاء العلماء والفضلاء والأولياء، والصلحاء والزهاد المشهورين، والرؤساء المذكورين، وغير ذلك من سائر البشر مالا يحصيهم، إلا خالقهم الذي أماتهم وهو يحييهم... وبعد هذه المقدمة يقول: "روضة الإمام الشافعي" فمن جملة ماعايناه من الروضات المذكورات، روضة الإمام الفاضل أبي عبد الله محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، وهذه الروضة من أعظم الروضات التي رأيناها ، احتفالا وعظما وزخرفة، ولقد كنت أحسب أن مثلها لايوجد في الدنيا، وقد بني عليه رحمه الله قبة يعجز الفكر عن كيفية تصور بنائها".

والملاحظ أنه في هذا العهد حسبما يستفاد من التجيبي نفسه كان التنافس على أشده بين الأمراء والوجهاء، والأغنياء في بناء الأضرحة، بالرغم من ملاحظة بعض العلماء على ذلك وتشنيعهم على من يشيد الأبنية بالمقابر، وفي هذا الوقت بالذات كان يوجد بالقاهرة عالم مغربي آخر اشتهر بعلمه وزهده، ومحاربة البدع، وهو أبو عبد الله محمد العبدري الفاسي المشهور بابن الحاج، نزيل القاهرة، وصاحب كتاب المدخل، وهو كتاب مفيد جدا تناول فيه أمورا كثيرة عالجها من الوجهة الشرعية، كقضايا التربية والتعليم، وتعامل الناس فيما بيدهم في مختلف المجالات الدينية والمعاشية، وما أحدثوه من عادات، وبدع في أمور شتى، منها البناء على القبور... ويبدو أن صاحبنا المحدث التجيبي المتضلع في علم الحديث والمعاصر لابن الحاج (المتوفى سنة 737هـ، والتجيبي سنة:730هـ) كان يهمه بالدرجة الأولى لقاء علماء الحديث، وعلماء الرواية، وخبراء الأسانيد، والباحثين عن أنواعها والنادر منها، من الأسانيد العالية والمتفق منها والمختلف...

ولعل رحالتنا يتفق مع ابن الحاج في نظرته إلى القباب والأضرحة، بل نراه يدخل المقابر على ما هي عليها، ويزورها بصدق ونية ملتمسا بركة موتى المسلمين من العلماء، والفضلاء، والأولياء، وعامة الناس... وقد أعجب غاية الاعجاب بروضة الإمام الشافعي رحمه الله، وما كان يظن أنها تكون على الشكل الذي رآه، ويستمر في الوصف فيقول: "وقد بني. بالبناء للمجهول. عليه رحمه الله قبة يعجز الفكر عن تصور بنائها، قد احتوت على أركان أربعة، بين كل ركن والذي يليه سبعون شبرا، وهي كلها مزخرفة بالذهب الإبريز، ولايقدر مقدار ما أنفق فيها، وإنها لتكاد تخلب عقل الناظر إليها، لحسنها وجمالها، واتفق دخولي لها مع بعض نبلاء الغرانطة. الغرناطيين. فلما رآها كاد أن يذهب لبه، وقال لي : أظن أن هذه (إرم ذات العماد)، ولا أظن أن أحدا يأتي بمثلها!!"

فالغرناطي الأندلسي الآتي من بلاد الحضارة يتعجب، ويندهش أمام هذه التحفة الفنية التي يصفها التجيبي بمنتهى الإعجاب والإشادة ويقول بعد ذلك: "وبلغني أن الملك الأجل الملقب بالمنصور الصالحي رحمه الله تعالى لما أراد أن يبني التربة التي هو الآن بها مدفون، وجه بعض أمراء دولته العظماء، وأمره ببنائها، وبالغ في التأكيد في الاحتفال فيها، وفي زخرفتها، وقال له: اصنعها مثل تربة الشافعي، فبناها الأمير المذكور، واجتهد فيما أمر به غاية الاجتهاد، وبذل الأموال الكثيرة، واحتفل غاية الاحتفال، فكملت في أقرب وقت، وجاءت من أبدع شيء يرى غير أنها قاصرة عن تربة الشافعي رحمه الله، ولما فرغ منها دخلها الملك الأجل الملقب بالمنصور رحمه الله تعالى، فاستحسنها، ولكنه عتب على الأمير المذكور، وقال له: ليست كتربة الشافعي. التربة تطلق عندهم على الضريح . فما عذرك في ذلك؟!فلم يحر الأمير جوابا، فكان في الحضرة بعض أرباب القلوب، فقال للملك: لو كان الذي يدفن فيها مثل الإمام الشافعي، كانت تكون مثل روضة الشافعي. فصمت الملك عند ذلك؟!" لقد كان ملوك الممالك يحترمون العلماء، ويقدرونهم، ولايقارنون أنفسهم بهم، بل يرونهم في مرتبة عالية جدا، ولذلك عندما سمع المنصور المملوكي قول القائل لم يرد عليه، اعترافا بالحق، وتواضعا لمكانة العلماء، وبالأخص إذا كان المتحدث عنه هو الإمام الشافعي رحمه الله.

يقول التجيبي: وعمر هذه القبة التي على ضريح الإمام الشافعي رحمه الله، السلطان الملك الكامل أبو المظفر وأبو المعالي محمد بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن الأجل والد الملوك نجم الدين أبي الشكر أيوب بن شاذ، وجر الماء من بركة الحبش، . نسبة إلى قتادة بن حبش الصدفي أحد من شاهد الفتح لمصر . إلى حوض الشبيل، والسقاية اللذين بظاهر هذا الضريح، ووقف هذا السلطان أوقافا على أنواع من أعمال البر. أي السلطان أبو المظفر الكامل. بمصر وغيرها، وهو أنشأ دار الحديث المعروفة باسمه . الكاملية . بالقاهرة...

وفي هذه المدرسة كان التجيبي يحضر مجالس الشيخ بن دقيق العيد، كما ذكره من قبل.

وختم الكلام عن ضريح الإمام الشافي بقوله: توفي سنة أربع ومائتين، قبل وفاة أشهب بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بثمانية عشر يوما، وكان أشهب يدعو على الشافعي بالموت، كما يقال، فبلغ ذلك الشافعي فأنشد متمثلا:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت
فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى
تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

فكان بين وفاتهما ماذكر.

والتجيبي بالرغم من شكه في دعاء أشهب على الشافعي فإنه أثبته، ليكون إيراده لبيتي الشافعي له سبب.

والإمام أشهب المصري، إليه انتهت رئاسة المالكية بمصر بعد موت ابن القاسم، وماذكر عنه التجيبي يحتمل ويحتمل والله أعلم.

يتبع

(تتمة ص:1)

في هذه الواقعة الصغيرة نلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث أصحابه في أمور دينهم، ولم يفته أن يراقب دخول الأطفال إلى حلقة الدرس، ويعطي درسا في التعامل معهم، فالطفل دخل حتى جلس على فخذ أبيه بعد أن مسح رأسه لطفا به وتطمينا له ليستمع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاءت أخت الطفل فمسكها أبوها ومسح رأسها وأجلسها على الأرض والرسول عليه الصلاة والسلام يلاحظ تعامل الأب مع الإبن والبنت بالتمييز، أجلس الذكر على فخذه اليمنى وأجلس الأنثى على الأرض، الرسول (ﷺ) لم يقبل هذا التمييز، ولو أنه في أمر بسيط وعارض فتدخل في الأمر البسيط ليكون توجيها للأمر العام الذي قد يخلق ميولات ضارة إذا رافقه ذلك التمييز، وقال للرجل: "فهلا على فخذك الأخرى، فامتثل الرجل، وأجلس ابنته على الفخذ الأخرى، فنال بذلك شهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له "الآن عدلت".

فهنيئا للأب بهذا الوسام النبوي على تصرفه بالعدل بين الأبناء، وهنيئا للأبناء الذين حضروا درس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا سببا في توجيه نبوي كريم على الملأ، وسجلوا بذلك صورة إيجابية في بناء العدل الأسري وبين الأبناء الذكور والإناث بصفة خاصة، ووضعوا لبنة في جبل الأخلاق الدينية الإسلامية التي يصونها العدل والعدالة، والله عز وجل يقول: "إعدلوا هو أقرب للتقوى".

وأرى من المناسب أن أنقل حوارا جرى بين معاوية ابن أبي سفيان وبين الأحنف بن قيس وكان سببه الابن يزيد بن معاوية، وسلوكه مع أبيه السلبي وهو يهيؤه ليكون رجل سلطة يأمر وينهى حتى دخلت موجدة لمعاوية على ابنه يزيد،و من تصرفاته التي لم تكن كما يريد الاب معاوية من ابنه، وأرقد ليلة كاملة، فلما أصبح بعث إلى الأحنف بن قيس، فأتاه فلما دخل عليه قال له: ابا بحر (كنية له) كيف رضاك على ولدك؟ وماتقول في الولد؟ قال: فقلت في نفسي ما سألني أمير المومنين عن هذه الا لموجدة دخلته على يزيد، فحضرني كلام لو كنت أعددته سنة لكنت قد أجدت، فقلت يا أمير المؤمنين: هم ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول إلى كل جليلة، فإن غضبوا ياأمير المؤمنين فارضهم، وإن طلبوك فأعطهم يمحضوك ودهم، ويلطفون جهدهم ولا تكن عليهم ثقلا، لاتعطهم إلا الالتزام فيملوا حياتك ويكرهوا قربك، قال: لله درك ياحنف، والله لقد بعثت إليك، وإني من أشد الناس موجدة على يزيد، فلقد سللت سخية قلبي، ياغلام: اذهب إلى يزيد فقل: إن أمير المؤمنين يقرئك السلام وقد أمر لك بمأتي ألف، ومائتي ثوب، فابعث من يقبض ذلك، فأتاه الرسول فاخبره، فقال من عند أمير المؤمنين؟ قال الحنف: فبعث رسولا ياتيه بالمال، ورسولا ياتيه بالاحنف إذا خرج من عند أمير المؤمنين، فأتاه الأحنف وأتاه المال فقال يابا بحر (كنية الأحنف) كيف كان رضى أمير المومنين لاجرم، لأقاسمنك الجائزة، فأمر له بمائة ألف ومائة ثوب.

نعرض هذه القصة ونحن في حديقة الأسرة والأبناء وقد جاء الأحنف بوصف أصاب فيه القلب والفؤاد ومسك فيه بالعاطفة والخاطفة، ثمار القلوب. عماد الظهور. نحن لهم أرض ذليلة. وسماء ظليلة. وبهم نصول إلى كل جليلة، إن الأحنف بن قيس كان في قمة العدل وهو يصف موقع الأبناء في الأسرة، ويفتح لهم أبواب القلوب والأفئدة ليستمروا على عرش الصدور، كلامهم مقبول.

وطلبهم غير مرفوض، ورضاهم هو المأمول، وإسعادهم هو طريق الوصول إلى أعلى درجات الفصول ونتابع الحديث عن العدل بين الأبناء في العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

الكليات

2/2

للعلامة محمد بن عبد الله بن محمد بن احمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق ابن نهيم البفرني الشهير بالمكناسي

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

هذا كتاب ابداه بحمد الله حمدا يصدق النية إليه، وأستعينه على ما يرضيه من صواب المقال، ويرتضيه من مشكور الفعال، وأصلي على نبيه محمد المختار وعلى آله وصحبه الكرام الأخيار، قصدت فيه إلى ما حضرني من كليات المسائل الجارية عليها الأحكام، ودلالة صادقة، وإلى قليل يدل على كثير، وقريب يدني من بعيد، وبنيتها على المشهور من مذاهب العلماء المالكية، وما جرى عليه عمل السادات الأيمة وربما نبهت في بعض المسائل على غير المرتضى، رجاء ثواب الله الخالق الوهاب، الواحد الصمد المنقذ من العذاب. وكان سبب جمعنا لها، إقامتنا في بعض الأيام بطريق تامسنا، حيث توجهنا للقاء مع الشاوية، حين طلبوا على ذلك في أوائل عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة جعل الله ذلك خالصا لوجهه، سالما من نزغات الشيطان وجنده.

فمن وقف على هذه الكليات فاليتلقاها بالقبول ويحسن نيته في القول والمقول، ويلتمس ما يجد فيها من وهم وخلل أحسن المخارج، ويصلحه بما يليق به من امهات الدواوين، إذ لا يعصم من الخلل والوهم أحد إلا المعصوم.

كل مبتاع اختلف مع البائع له في مقدارالثمن بعد تمام البيع وقيام السلعة تحالفا وتفاسخا ومع فواتها حلف المشتري وثبتت دعواه فيما يشبه. **كل** مبتاع اختلف مع البائع في العيب بعد ثبوته في قدمه وحدوثه فإن شهدت البينة بالقدم أو الحدوث عمل على ما شهدت به البينة وإن شك أهل المعرفة في ذلك حلف البائع على البتّ في الظاهر وعلى العلم في الخفي وبرئ من الدعوى. **كل** بايع ومبتاع اختلفا فإن ادعى عن أحدهما أن البيع وقع بوجه حلال وادعى الأخر وجها كان القول قول مدعى الحلال ما لم يشهد العرف لمدعى الحرام فيكون القول قوله وإن ادعى أحدهما علما، والأخر جهلا، كان القول قول مدعى العلم مع يمينه. **كل** صانع ادعى رد الشيء المصنوع إلى ربه وأكذبه ربه كان القول قول ربه، قبضه الصانع ببينة أو بغير بينة، وقال ابن حبيب إن قبضة بغير بينة صدق في الرد. **كل** معير اختلف مع المستعير بعد ضياع الشيء المستعار في مقدار أيام العارية تحالفا وسقط الضمان عن المستعير ولزمه كراء الأيام التي ادعى عاريتها. **كل** دعوى وقعت بين مكر فيما شك المكتري من السنة كان القول فيها قول المكتري مالم تتم السنة وإن اتفقا على أول المدة وآخرها واختلفا في مقدار خلالها لأجل الانهدام وشبهه كان القول قول المكري.

❖❖❖❖❖

كل مكرى ومكتر اختلفا في المسافة قبل الركوب أو بعده بيسير تحالفا وتفاسخا وفسخ الكراء بينهما وبعد التمام والتعدي القول قول المكري ان أشبه وإن لم يكن كذلك كان القول قول المكتري. **كل** صانع تنازع مع رب الشيء المصنوع في دفع الأجرة كان القول قول الصانع، إذا كان الشيء المصنوع بيده، أو قام بحد ثان دفعه، وكذلك المرتهن مع الراهن. **كل** زارع تنازع مع رب الأرض فادعى الزارع الكراء وأنكره رب الأرض كان القول قول رب الأرض، وأمر الزارع بقلع زرعه إن كان في الإبان وفيه منتفع به له والزم بكراء ما انتفع، وإن خرج الابان كان لرب الأرض الأكثر من كراءالمثل وما ادعاه الزارع.

كل فاد من دار الحرب اختلف مع المفدى في مقدار الفدية كان القول قول المفدى. كل وصي اختلف مع الأيتام بعد بلوغهم وخروجهم من الولاية فإن قال الوصي أنا كنت المنفق عليكم وقال الأيتام لم تنفق علينا كان القول قول الوصي إن كانوا في كفالته وإلا فالقول قول الأيتام. **كل** من وجبت عليه يمين أو وجبت له فنكل عنها من وجبت عليه، فلا يكون نكوله إقرارا، ولابد من رد اليمين على الطالب طلب الخصم ذلك أو لم يطلبه إذ ليس كل الناس يعلمون أن اليمين تنقلب على المدعى إذا نكل عنها ادعا عليه فإن نكل المردود عليه بطل حقه إن كان طالبا وغرم إن كان مطلوبا. **كل** حالف على أخذ شيء يدعيه لنفسه إنما يحلف على البت وعلى الدفع عن نفسه على.

كل من قضي له على غائب أو ميت أو سفيه فلا يتم له الحكم إلا بعد أن يحلف يمين القضاء.

كل من دفع إلى غيره دراهم وادعى القابض انه وجد فيها زيوفا وانكر الدافع انها من دراهمه فعليه اليمين أنه ما أعطى إلا جيادا في علمه. كل من وجبت عليه أيمان جمعت عليه في يمين واحدة إلا أن يكون بعضها من قلب فلا يجمع يمين القلب مع يمين أصلية. **كل** قاض جلس للحكومة ينبغي أن يتخذ رجلا يخبره بما يقول الناس في أحكامه. **كل** قاض جلس للحكومة ينبغي له ان يقدم في الحكومة المسافرين من غير ضرر على غيرهم. **كل** حق تعين لغائب أو يتيم مهمل فلا يوكل القاضي من يتكلم عليه إلا في أمر يخاف فواته. **كل** غائب تعير عليه حق لحاضر وطلب من القاضي أن يخلصه حقه من مال الغائب وجب على القاضي أن ينفذ له حقه ولو ببيع عقار الغائب بعد ثبوت موجب ذلك. **كل** من تغيب بوجهه عن غريمه حكم عليه القاضي بما يحكم على الغائب.

الشهادات:

كل خصم أو ضنين فشهادته ساقطة. كل من شهد لفلان على فلان كذا فلا تجوز شهادته حتى يبين الوجه الذي تقرر الدين منه. كل شهادة سقط بعضها لتهمة في الشاهد فشهادته في سائر الشهادات ساقطة . **كل** من ردت شهادته لعلة مثل الصبي والعبد والوصي والمتهم ثم انتقل حاله إلى غير ذلك قبلت شهادته في ذلك ان أعاد الأداء. **كل** شهادة كمل نصابها باليمين فشهادة النساء في ذلك عاملة وكذلك مالا يطلع عليه الرجال فشهادتهن فيه أيضا عالمة. **كل** من شهد لشخص بشيء فلا تتم شهادته حتى يقول الشاهد ما نعلمه باع ولا وهب. **كل** وصي يشهد لمحجوره بدين على شخص فشهادته غير جائزة بخلاف المشرف. كل من شهد أن موروثه أعتق عبدا يتم الشاهد على جر ولائه ردت شهادته. كل من شهد لنفسه ولغيره في غير وصية بطلت شهادته في الجميع وإن كان حظه يسيرا. **كل** حارص على أداء شهادته عند القاضي في حق ءادمي من غير طلب صاحب الحق ذلك بطلت شهادته. **كل** حالف على صحة ما شهد به بطلت شهادته وقيل يفتقر ذلك من الجاهل.

❖❖❖❖❖

كل بدوي شهد على حضري في الحضر بطلت شهادته. **كل** من انتصب للسؤال بطلت شهادته في الكثير من المال دون دون اليسير. **كل** من لعب بنرد أو شطرنج وأدمن عليه بطلت شهادته. كل غني مطل في حق ءادمي أو حلف بطلاق ردت شهادته. كل ملتفت في صلاته بطلت شهادته وكذلك بائع آلة لهو وكذلك من احلف اباه عالما بمنع ذلك بطلت شهادته. **كل** من طلب إثبات دابة أو أمة وطلب الخروج بها لتشهد البينة على عينها مكن من ذلك إذا أتى على ذلك بشبهة بعد أن يضع قيمتها عينا على يد أمين وما أصاب من نقص في خلال ذلك فهو له ضامن. **كل** من وقف له شيء فنفقة الشيء الموقوف على من يقضى له به. **كل** شهادة بسماع فهي عاملة إذا طال أمرها فيما أجازها العلماء فيه ولا ينزع بها ما تحت اليد إلا إذا أفادت العلم فإنها تخرج عن كونها سماعا وتجوز حينئذ في كل شيء خلافا لنقل البرزلي عن ابن عرفة في قوله لا يخرجها ذلك عن كونها سماعا. كل شاهد شهد بطلاق وليس معه غيره وجبت اليمين على الزوج فإن حلف بطلت شهادة الشاهد وإن نكل سجن عاما ودين وترك.

❖❖❖❖❖

كل ناقل جازت شهادته في تزكية المنقول عنه ان عرف الحاكم عين المنقول عنه. **كل** من شهد بقتل عمد ثم قدم المقتول حيا وجب الغرم اتفاقا ويبرأ بالشاهد كما إذا شهد بموته فبيعت تركته وتزوجت زوجته ثم قدم حيا فإن أتى بشبهة برء وإلا فكما تقدم. **كل** راجع عن عفو قصاص يؤدب ويجلد القاتل مائة ويحبس عاما ولا غرم عليه. **كل** راجع عن شهادته بعتق ناجز يغرم القيمة والولاء للسيد. **كل** من رجع ممن ثبت الحق بدونه فلا غرم عليه إلا أن يرجع معه غيره ممن ثبت به الحق فيغرم معه. **كل** من ادعى على خصمه بفسق شهود الخصم وجب له على خصمه اليمين على نفي دعواه وكذلك حكم من ادعى على خصمه أنه احلفه. **كل** من عليه حق لميت ادعى خلاصه حلف من ورثته من يظن به علم ذلك. كل من وجبت له يمين فقبلها ثم بدا له أن يحلف لم يكن له ذلك.

الوصايا:

كل ما أراد الموصي إخراجه من رأسماله على حكم الصحة مما يتهم عليه فلا يكون في رأس ماله ولا يحاص به في الثلث. **كل** ما أوصى به الموصي مما يخرج في كل يوم للمساكين أو في كل جمعة للأبد حاصّ له بالثلث الحاكم مع سائر الوصايا في الثلث فما نابه وفقا لذلك.

كل من بتلا في مرضه شيئا من عتق أو غيره برئ من الثلث على سائر الوصايا، ما عدا المدبّر، وما بقي من الثلث تحاص فيه سائر الوصايا.

كل من اشترط في وصيته عدم الرجوع لزمه ما شرط، ويتحاص مع سائر الوصايا في الثلث، إذ لا يمنعه شرط الحصاص. **كل** من أوصى لرجل بوصيتين واحدة بعد أخرى كان له الأكثر منهما إن كانتا من صنف واحد، وإن كانتا من صنفين نفذتا جميعا.

❖❖❖❖

كل من أوصى على أولاده لمتعدد كان لكل واحد منهم أن يسند ما جعل له إلى غير أصحابه خلافا لسحنون وهو المشهور. كل من أوصى على أيتام وقبض لهم عينا أو عرضا وتصرف في ذلك لنفسه، وتعين في المال ربحا كان الربح لليتامى وقيل للوصي، وقيل إن كان المال عينا كان الربح للوصيّ وإن كان عرضا كان الربح لليتامى، وقيل عكسه، وقيل إن كان الوصي يوم التصرف مليا كان الربح له، وإلا فهو لليتامى. **كل** من أوصى لعبده بثلث ماله عتق إن حمله ثلث الموصي وأخذ الباقي إن بقي منه شيء. **كل** من أوصى لوارث فصار يوم الموت غير وارث نفذت وصيته له. **كل** أمة للوطئ أوصى بعتقها كان لها بعد موت سيدها الخيار في العتق ورده، فإن اختارت الرد ثم رجعت عن ذلك قبل الحكم، كان لها ذلك وإلا فلا. **كل** من اشترى في مرضه من يعتق عليه عتق عليه في ثلث ويرث مع سائر الورثة ولو أوصى بشرائه وعتقه عتق في الثلث ولا إرث له. **كل** من أوصى على أولاده متعددا لم يكن لهم قسم مال لأولاده فإن قسموه وضاع ضمنوه. **كل** وصي على أيتام جاز له دفع مال محجوره قراظا أو بضاعة، ولم يكن له أن يقارض نفسه. كل وصي على محجور أنفق عليه ثم خرج المحجور من الولاية وأراد أن يحاسب وصيه فحاسبه الوصي بما أنفق عليه فطلب المحجور من الوصي أن يحلف له على ما أنفق فيحلف على ما حققه ولا يريد من اليمين رضاه بأقل المستقر على ما جرى به العمل.

العتق:

كل من حلف على فعل لا يفعله بحرية عبده ولم يضرب له أجلا فهو في يمينه على بر. **كل** من حلف على فعل ليفعلنه بحرية عبده ولم يضرب له أجلا فهو في يمينه على حنث. كل من كان في يمينه على حنث فمات قبل أن يبرأ من يمينه فإن المحلوف بحريته يعتق من ثلث الحالف. **كل** من أعتق شركا له في عبد كمل عليه نصيب شريكه وينظر للمعتق يوم القيام لا يوم العتق. كل من قال لعبده أنت حر وعليك كذا فهو حر متبع عند مالك وعند ابن القاسم حر ولاشيء عليه. **كل** من حلف بحرية عبده فباعه ثم اشتراه عاد عليه اليمين بخلاف الميراث. كل من مثل بعبده عتق عليه. كل من شك في عتق عبده لم يجز له ملكه. كل ما أسقطته الأمة بعد وطئ السيد لها مما يعلم أنه مولود فهي به أم ولد. **كل** من قاطع عبده على مال فهو حر إن أدى وإن عجز فلا يتم عجزه حتى يعجزه السلطان خلافا لابن نافع.

كل من يعتق على الرجل إذا ملكه فإنه يدخل معه في الكتابة إذا اشترته بإذن السيد. **كل** من له حض في عبد فلا يجوز له كتابته له لا باجتماعه مع شريكه على ذلك. **كل** ولاء ثبت لرجل بعتقه عبده ثم زال له ذلك الولاء لمانع حدث فإنه يرجع إليه إذا زال المانع عنه. **كل** ولاء لم يثبت للمعتق يوم العتق لمانع فإنه لا يرجع للمعتق ولو زال المانع عنه. **كل** ولاء ضائع فإنه للمسلمين. **كل** من أعتق أن موروثه أعتق عبده ولم يوافقه سائر الورثة ولم تقم بذلك بينة لم يلزمه عتق ولا يكمل عليه ويستحب له إن بيع أن يجعل ثمن حظه في عتق إلا أن يكون المقر ممن يحكم بشهادته فيعتق. **كل** مولى معتق فإنه يجر ولاء ولده من حرة أو من أمة إلى مولى معتقه. **كل** مقتول قتل عمدا فلا يرثه القاتل بخلاف الخصا فإن القاتل يرث فيه من المال دون الدية.

الحدود:

كل قتل تولد من هزل أو لعب فحكمه حكم الخطأ وإن تولد عن الجد والقتال فحكمه حكم العمد. **كل** جرح أفضى إلى ذهاب جارحة وكان أصله عن عمد اقتص منه فإن ذهب منه مثل ما ذهب من الأول كان ذلك قصاصا وإن بقي منه شيء كان أرشد على الفاعل. **كل** من قتل شخصا فإنه يقتل بمثل ما قتل به إلا النار وفي السم خلاف. **كل** من قلع ضرس صبي تربص به إلى مقدار ما ينبت مثله فإن نبتت سن مكان سنه فلاشيء على الفاعل وإلا قلعت ضرس الفاعل. **كل** من اتخذ كلبا في داره فأصاب رجلا كان ربه ضامنا إذا اتخذه في غير موضع اتخاذه وإن كان في موضع اتخاذ فلا ضمان عليه إلا إذا كان تقدم إليه فيه. **كل** من نكح خامسة أو مطلقة بالثلاث أو أختا من الرضاعة حد. **كل** مراجع زوجته المطلقة بالثلاث في عدتها حد إن كان عالما بالتحريم وإن كان ممن يعذر بالجهالة لم يحد. **كل** جماعة سرقت من حرز فلا قطع على كل واحد منهم حتى تبلغ قيمة ما أخرج المخرج منهم ربع دينار أو ثلاثة دراهم ولو كان مجموع المخرج ألف دينار إلا أن يكون شيئا حملوه بأجمعهم فيقطعون، ولو كانوا عبيدا أو من أهل الذمة أو سرقوا لمثلهم. **كل** سارق سرق شيئا فلا يضمن الشيء السروق حتى يكون موسرا يوم السرقة ويتمادى به اليسر إلى يوم القطع إلا أن يكون الشيء المسروق طعاما وأكله السارق قبل خروجه من بيت ربه فلا يقطع وإنما عليه القيمة خاصة.

❖❖❖❖❖

هـ انتهت كليات القاضي المكناسي رحمه الله ونسبتها للإمام ابن غازي وهم والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

في ظلال الحديث :

الحديث الثاني والتسعون: العدل أساس سعادتي الدنيا والآخرة

نص الحديث:

عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا" رواه مسلم

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

تخريج الحديث

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر (ج3/ص1458/ح1827)، والنسائي في سننه، كتاب آداب القضاة، فضل الحاكم العادل في حكمه (ج8/ص222/ح5379)وابن حبان في صحيحه (ج10/ص337/4484)، وابن حنبل في مسنده (ج2/ص159/ح6485)، والحاكم في مستدركه (ج4/ص100/ح7006)والحميدي في مسنده (ج2/ص269/ح588)والبيهقي في سننه الكبرى (ج10/ص 88/ح19949).

درجة الحديث: هذا حديث صحيح كما أثبت ذلك الإمام مسلم في صحيحه.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة (وزهير بن حرب وابن نمير) قالوا حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو يعني ابن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو، وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة.

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة: هو أبو بكر بن أبي شيبة الحافظ الثبت، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم الكوفي صاحب المسند والمصنف وغير ذلك قال العلجي ثقة حافظ وقال الفلاس مارأيت أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة وكذا قال أبو زرعة الرازي وقال أبو عبيد انتهى الحديث إلى أربعة فأبو بكر بن أبي شيبة أسردهم له وأحمد أفقههم فيه وابن معين أجمعهم له وابن المديني أعلمهم به، وقال ابن حبان في الثقات كان متقنا حافظا دينا ممن كتب وجمع وصنف وذاكر وكان أحفظ أهل زمانه للمقاطيع وقال ابن قانع ثقة ثبت روى عنه البخاري ثلاثين حديثا ومسلم 1540 حديثا. قال البخاري مات في المحرم سنة 235 رحمه الله تعالى.

حدثنا سفيان بن عيينة: هو أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون العلامة الحافظ شيخ الإسلام الهلالي الكوفي محدث الحرم مولى محمد بن مزاحم ولد سنة 107 هـ بالكوفة، وانتقل إلى مكة، وطلب العلم في صغره، وجالس الزهري وهو ابن 16سنة، وهو من الطبقة الوسطى من الأتباع، كان إماما حجة حافظا واسع العلم كبير القدر، من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين، قال الشافعي لولا ملك سفيان لذهب علم الحجاز، وكان يقول (أي الشافعي) مارأيت أحدا فيه من آلة العلم ما في سفيان وما رأيت أحدا أكف من الفتيا منه وما رأيت أحدا أحسن لتفسير الحديث منه. وتوفي سنة 198هـ.

عن عمرو يعني ابن دينار: هو أبو محمد عمرو بن دينار الحافظ الإمام عالم الحرم الجمحي مولاهم المكي الأثرم ولد سنة 46 أو نحوها وسمع من الصحابة، وحدث عنه خلق كثير قال شعبة مارأيت أحدا أثبت في الحديث من عمرو وقال ابن عيينة كان لايدع المسجد كان يحمل على حمار وما رأيته إلا وهو مقعد وكان فقيها وقال ابن مهدي قال لي شعبة لم أر مثل عمرو بن دينار وقال يحيى القطان وأحمد هو أثبت من قتادة قال عبد الله بن أبي نجيح ما رأيت أحدا قط أفقه من عمرو ولا عطاء ولا مجاهدا ولا طاوسا وذكره ابن عيينة فقال ثقة، ثقة كان قد جزء الليل فثلثا ينام وثلثا يدرس حديثه وثلثا يصلي وروى نعيم بن حماد عن ابن عيينة قال ما كان عندنا أحد أفقه ولا أعلم ولا أحفظ من عمرو بن دينار قال الواقدي عاش ثمانين سنة وتوفي في أول سنة 126.

عن عمرو بن أوس: أبو عمرو بن أوس بن أبي أوس الثقفي تابعي مشهور، حديثه في الكتب الستة وذكره الجمهور في التابعين وذكره الطبراني وابن منده وطائفة في الصحابة والمشهور ما ذهب إليه الجمهور، ولقد بلغ من العلم والشهرة ما جعل أبا هريرة رضي الله عنه يقول لرجل جاءه يسأله عن شيء فقال ممن أنت فقال من ثقيف تسألني وفيكم عمرو بن أوس، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، مات قبل سعيد بن جبير.

عن عبد الله بن عمرو: هو أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، من فضلاء الصحابة وعلمائهم وزهادهم وعبادهم، يصوم النهار ويقوم الليل، وكان من أكثر الناس أخذا للحديث والعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد عمي آخر عمره، وكان مع أبيه إلى أن توفي أبوه بمصر، ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى مكة ومات بها سنة 65هـ، عن 72سنة، وروي عنه رضي الله عنه 700حديثا.

أهمية الحديث

هذا حديث يبين مدى حاجة الإنسانية إلى العدل إن هم أرادوا أن تغمر السعادة أرجاء المعمور، وتعم الأفراد والجماعات، ويبين كذلك عاقبة وعقوبة الظالمين، بالإشارة والتوضيح لمكانة ورفعة أهل العدل يوم القيامة، وبضدها تعرف الأشياء.

مفردات الحديث:

"المقسطون": هم العادلون، والإقساط والقسط بكسر القاف العدل، يقال: أقسط إقساطا فهو مقسط إذا عدل، أما القاسط فهو الجائر.

"عند الله" :أي يوم القيامة.

"على منابر": المنابر جمع منبر سمي به لارتفاعه، قال القاضي: يحتمل أن يكونوا على منابر حقيقية، على ظاهر الحديث، ويحتمل أن يكون كناية عن المنازل الرفيعة.

"عن يمين الرحمن" هذا من أحاديث الصفات، نؤمن بها ولا نتكلم في تأويله، ولانعرف معناه، لكن نعتقد أن ظاهرها غير مراد، وأن لها معنى يليق بالله تعالى، وهذا مذهب جماهير السلف.

المعنى العام

1. العدل خلق فطري وأساس حياة الأفراد والأمم وبقاء الحضارات:

احترام العدل تقليد تتوارثه الأمم المحترمة، وتقيم له الضمانات، وتبني له السياجات، من أجل أن يرسخ ويستقر".

وإن الحضارات الإنسانية لاتبلغ أوج عزها، ولاترقى إلى عز مجدها إلا حين يعلو العدل تاجها، ويتلألأ به مفرقها. تبسطه على القريب والغريب، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والحاضر والباد.

العدل تواطأت على حسنه الشرائع الإلهية، والعقول الحكيمة، والفطر السوية، وتمدح بادعاء القيام به ملوك الأمم وقادتها، وعظمائها وساستها.

كل نفس تنشرح لمظاهر العدل مادام بمعزل عن هوى يغلبها في قضية خاصة تخصها.

ولقد دلت الأدلة الشرعية وسنن الله في الأولين والآخرين أن العدل دعامة بقاء الأمم، ومستقر أساسات الدول، وباسط ظلال الأمن، ورافع أبنية العز والمجد، ولا يكون شيء من ذلك بدونه.

القسط والعدل هو غاية الرسالات السماوية كلها: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) الحديد:25.

إن أية أمة تعطلت من هذه الخلة العظيمة والصفة الجليلة لاتجد فيها إلا آفات جائحة، وزوايا قاتلة، وبلايا مهلكة، وفقرا معوزا، وذلا معجزا، ثم لاتلبث بعد ذلك أن تنبت فيها الفتن، ما ظهر منها ومابطن، والظلم لايأتي إلا بظلم، وكما تدين تدان.

بالعدل قامت السموات والأرض، وللظلم يهتز عرش الرحمن. العدل مفتاح الحق، وجامع الكلمة، ومؤلف القلوب.

إذا قام في البلاد عمر، وإذا ارتفع عن الديار دمر. إن الدول لتدوم مع الكفر مادامت عادلة، ولا يقوم مع الظلم حق ولايدوم به حكم.

العدل في حقيقته تمكين صاحب الحق ليأخذ حقه. في أجواء العدل يكون الناس في الحق سواء لاتمايز بينهم ولاتفاضل، بالعدل يشتد أزر الضعيف ويقوى رجاؤه، وبالعدل يهون أمر القوي وينقطع طمعه.

2. مكانة العدل في الإسلام والأمر به وسعته وشموله

إن أمة الإسلام هي أمة الحق والعدل، والخير والوسط، نصبها ربها قوامة على الأمم في الدنيا، شاهدة عليهم في الأخرة، خير أمة أخرجت للناس، يهدون بالحق وبه يعدلون، يتواصون بالحق والصبر، ويتنافسون في ميادين الخير والبر، ويتسابقون إلى موجبات الرحمة والأجر.

أمة أمرها ربها بإقامة العدل في كتابه أمرا محكما وحتما لازما: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا)النساء:58.

لا أعدل ولا أتم ولا أصدق ولا أوفى من عدل شريعة الله، فهي مبنية على المصالح الخالصة أو الراجحة، بعيدة عن أهواء الأمم وعوائد الضلال، لاتعبأ بالأنانية والهوى، ولابتقاليد الفساد. إنها لمصالح النوع البشري كله ليس لقبيلة أو بلد أو جنس.

إن الإسلام صدق كله، خيره وحكمه عدل: (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم) الأنعام: 115.

3. أقسام العدل

عدل الإسلام يسع الأصدقاء والأعداء، والأقرباء والغرباء، والأقوياء والضعفاء، والمرؤوسين والرؤساء، والمسلمين وغيرهم. عدل الإسلام ينتظم كل ميادين الحياة ومرافقها ودروبها وشؤونها في الدولة والقضاء، والراعي والرعية، والأولاد والأهل. عدل في حق الله. وعدل في حقوق العباد في الأبدان والأموال، والأقوال والأعمال. عدل في العطاء والمنع، والأكل والشرب. يحق الحق ويمنع البغي في الأرض وفي البشر.

وإن الله عز وجل كما وعد أهل العدل بجزيل الأجر والثواب كما جاء في الحديث الذي بين أيدينا أنهم يكونون آمنين مطمئنين يوم ترى الناس سكارى وما هم بسكارى، في ذلك اليوم الرهيب يكون أهل العدل على منابر من نور، وإنها لمكانة عظيمة يبلغها أهل العدل، وهذا يدل على أن أهل الجور والظلم والطغيان يكونون في أسوء حال. نسأل الله العي القدير أن لانكون منهم. ولقد جاء ذلك مبينا في حديث آخر يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة فلم يعدل فيهم إلا كبه الله في النار" أخرجه الحاكم وقال صحيح الإسناد من حديث ابن يسار رضي الله عنه.

هذا هو العدل العالمي الذي جاء به سيدنا محمد منذ أكثر من أربعة عشر قرنا عدل يتم فيه ضبط النفس والتحكم في المشاعر. إن القمة العليا والمرتقى الصعب الذي لايبلغه إلا من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، وبدينه دستورا وحكما. ونقول لمن يرغب عن الإسلام ويبحث عن العدل في غيره من الملل والقوانين (ومن يبتغ غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين) وإن هذا لايمنع أن نستفيد من كل التشريعات والقوانين والنظم التي تحقق العدل، لأن العدل هو جوهر الإسلام وهدفه ومبتغاه.

4. أثر العدل، وعاقبة الظلم

إذا ساد العدل حفظت الحقوق، ونصر المظلوم وولت الهموم، وأدبرت الغموم. أما حينما يتجافى الناس عن العدل ويقعون في حمأة الظلم ينبت فيهم الحق والقطيعة والفرقة وكل ما من شأنه أن يضعف الأمة ويذهب بريحها.

من تجافى عن العدل أدخل دائرة الظلم، يأخذ ولايعطي، ويطلب ولايبذل، يأخذ الذي يستحق، ويمتنع عما يحق، تغلب مسالك المنافقين: (قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية)آل عمران:154.

إن الحيف وسلب الحقوق وإهدار الكرامات مبعث الشقاء ومثار الفتن، وإن قوما يفشو فيهم الظلم والتظالم، وينحسر عنهم الحق والعدل إما أن يتقرضوا بفساد، وإما أن يتسلط عليهم جبروت الأمم يسومونهم خسفا، ويستبدون بهم عسفا، فيذوقون من مرارة العبودية والاستذلال ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال. إن الظلم خراب العمران، وخراب العمران خراب الأمم والدول. وما عدد من دول وأمم العالم عنا ببعيد، وخير شاهد مانراه كل يوم.والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

خذ العفو وامر بالعرف

■ إعداد الأستاذ: رضوان ابن شقرون

الخطبة الأولى:

الحمد لله العلي العظيم، الحمد لله الحليم الكريم، الحمد لله رب السموات ورب الأرض رب العرش العظيم، لك الحمد يا ربنا كما نقول وخيرا مما نقول، وعليك منا الثناء كل الثناءفأنت الرؤوف البر الرحيم، ونحن عبادك المستضعفون التائبون الحامدون الشاكرون.

وأشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لاشريك لك، أرسلت الرسل والأنبياء لبث الأخلاق الحميدة، وإرشاد العباد إلى كل فضيلة، والهداية إلى سبل التعاون والنصيحة، وبعثت نبيك محمدا (ﷺ) ليتمم مكارم الأخلاق، وأنزلت عليه الأمر بالعفو والتسامح وأخذ الأمور بالحلم والتناصح، وعدم مجاراة الجاهلين في جهلهم والمسيئين في إساءتهم.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبدك الخاشع التقي الطاهر، ورسولك المبلغ الأمين الطائع، صليت عليه في ملكوتك، وصلى عليه خيرة خلقك من ملائكتك، وأمرت العباد بالصلاة عليه في أرضك وبلادك، فصل اللهم وسلم عليه وعلى آله الأطهار، وصحابته الأكرمين الأخيار، وارض اللهم عن التابعين وتابعيهم، وعمن اقتفى أثرهم واتبع سبيلهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقون يا أولي الألباب" وإن من أجمل مايتحلى به الإنسان مكارم الأخلاق، فبها يستقيم أمر الأفراد، ويتنظم سير الجماعات، وتنهض الأمم وتتسلق مدارج الرقي والتطور، أما الانحراف والزلل وسوء المعاملة وكثرة المؤاخذة للآخرين على سلوكاتهم وتصرفاتهم، ومحاسبتهم على الصغير والكبير من أخطائهم، فذلك من علامات التخلف والتخاذل وسوء الخلق وقلة الصبر، ومآله للأفراد والأمم سوء العاقبة وبئس المصير!

وديننا الحنيف يسمو بالأمة الإسلامية، على مستوى الأفراد والجماعات، ويحفزها على جميع المستويات، لتدرك ذلك الرقي الاجتماعي والتطور الإيجابي عن طريق التحلي بالأخلاق الفاضلة وانتهاج أساليب الصفح والمحبة والاتصاف بالصبر والمودة، ليستقيم أمر الفرد والجماعة، وينتهجوا السبل القويمة في السلوك والمعاملة. يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله الأمين محمدا (ﷺ) وكل مسلم مؤمن يطمح إلى الاقتداء برسوله في الخلق والمعاملة... "خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين"سورة الأعراف:199.7.

فهذه الآية الكريمة تضمنت القواعد الأساسية لمعاشرة الناس في المجتمع الإنساني الذي يرتضيه الإسلام منهجا للتعامل والتعايش والتكامل بين عناصره، وقد اشتملت على أمر بأن نأخذ من أفعال الناس وأقوالهم وأخلاقهم ما جاء منهم عفوا طبيعيا، وما صدر منهم وتيسر بغير كلفة ولامشقة، فلا نطلب منهم مايعجزون عن الانصاف به من الكمال، ولانحملهم على النفور منا والاشمئزاز، وهذا هو العفو الذي يعتبر من أهم أسس التعايش بين الناس لبقاء العلاقات واستمرارها، وتوطيد الصلات وصيانتها.

ويدخل في ذلك صلة الأرحام ولو قطعها القاطعون، والحلم والصفح وإن أذنب المذنبون، والرفق والرحمة وإن أساء المسيئون، والتغاضي والإعراض وإن اشتط في القسوة الأشداء المجازفون. قال تعالى داعيا إلى تلك الخصال البانية، محرضا على انتهاج نهج الصفح عن أخطاء الخطائين، والتجاوز عن إثم الآثمين: "فاصفح الصفح الجميل" سورة الحجر:85.15. وكما أمر الله عز وجل عباده المسلمين المؤمنين بمحاجة الكفار والمشركين ومجادلتهم ومقارعتهم الحجة بالحجة، فقد دل المسلمين على وجوب التحلي بمكارم الأخلاق والمجادلة بالتي هي أحسن، بل أمر بانتهاج أسلوب رائع حكيم في الدعوة، بليغ مؤثر في المخاطبين، رشيد موفق في تبليغ الدين، وفتح قلوب الضالين ونفوس التائهين، إلى الاستنارة بنور الهداية والحق المبين، فقال جل من قائل: "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسن وجادلهم بالتي هي أحسن" سورة النحل125.16.

ويوجهنا الرسول الأكرم توجيها نبويا حكيما لما يزرع في قلوبنا المحبة والسماحة، ويغرس في نفوسنا الأخلاق الفاضلة، وينعش سلوكنا ببشائر الخير وحسن المعاشرة، فيقول: "إنكم لاتسعون الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق" أخرجه الطبراني والحاكم والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فهذا قول الله عز وجل في الآية:"خذ العفو".

وأما العرف فهو كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليها النفوس. وإن رأس ماتطمئن إليه نفس المؤمن وينشرح له صدره هو قول "لاإله إلا الله" فهي أهم ماترتضيه عقول العقلاء المتدبرين، وأحسن ماتنطق به ألسنة العباد المهتدين.

والتعود على الاتصاف بالفضائل والمكرمات، كالحياء والحلم والأمانة، وعلى فعل الخيرات والحسنات، كالإحسان والتعاون والكفالة، كل ذلك يعتبر عرفا ما دام يهدف إلى الإصلاح وتحقيق ماينفع الناس في عاجل دنياهم أو في آجل أمرهم، وبين قول الخير وفعله صفات يتحلى بها المرء فيزداد قلبه يقينا وتزداد أخلاقه سموا: فعن النبي أنه قال: "الإيمان بضع وسبعون شعبة (أي قطعة أو جزءا)، فأفضلها قول (لاإله إلا الله)، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان" (أخرجه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم إن تقوى الله في الناس، ومد يد العون والمساعدة لهم، والبشاشة في وجوههم، والتغاضي عن عيوبهم، ومسامحتهم على أخطائهم.. كل ذلك فيه للمسلم المؤمن أجر كبير:فقد أخرج البزار في مسنده أن أبا جزي جابر بن سليم قال: "ركب قعودي ثم أتيت إلى مكة فطلبت رسول الله فأنخت قعودي بباب المسجد، فدلوني على رسول الله فإذا هو جالس، عليه برد من صوف فيه طرائق حمر، فقلت: السلام عليك يارسول الله، فقال: "وعليك السلام"، فقلت: إنا مشعر أهل البادية قوم فينا الجفاء، فعلمني كلمات ينفعني الله بها. قال: ادن" . ثلاثا . فدنوت فقال: "اعد علي" فأعدت عليه، فقال: "اتق الله، ولا تحقرن من المعروف شيئا، ولو أن تلقى أخاك بوجه منبسط. و في رواية: طليق أو طلق. وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي، وإن امرؤ سبك بما لايعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه، فإن الله عز وجل جاعل لك أجرا وعليه وزرا، ولاتسبن شيئا مما خولك الله تعالى "قال أبو جزي: فوالذي نفسي بيده ماسببت بعده شاة ولابعيرا (أخرجه الإمام مسلم، عن أبي ذر رضي الله عنه.

يالها من وصايا ببينات بليغات مفيدات نافعات!!

إن الحبيب الشفيع يوصي في هذه الجواهر الكريمة بالتقوى، ويوصي بالإكثار من المعروف مهما ظننا بسيطا أو ظهر لنا تافها، ويوصي بالانبساط والانشراح في وجوه الآخرين، ويوصي بالإيثار وتفضيل الغير على النفس، ويوصي بالحلم على الآخرين ولين الجانب معهم، فذلك يعتبره الحبيب وسيلة لنيل مكاسب جمة ومحامد جليلة، هي الأجر عند الله أولا وكسب ثقة الآخرين ومودتهم ثانيا، وشيوع المحبة والمودة بين أفراد المجتمع ثالثا، ثم إذا نظرنا إلى الأبعاد الاجتماعية والإنسانية لتلك الصفات والمحامد فإننا نجد لها أعظم الأثر في ترفع الأفراد عن الدنايا، وانتشال الأمم من الانحطاط والتخلف والرزايا، وتوفير جو الإخاء والمودة والتآلف. والناس معادن، وهم بصفة عامة معدن النقص والخطأ، فيهم المصيب وفيهم المخطئ، والمصيب منهم معرض للخطأ في كل حين، ولله در الشاعر القائل:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا
صديقك، لم تلق الذي لاتعاتبه
فعش واحدا، أو صل أخاك فإنه
مقارف ذنب مرة ومجانبه
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلا أن تعد معايبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت، وأي الناس تصفو مشاربه

إن سنة الحياة وطبيعة الناس تقتضي أن نتغاضى عن عيوب الآخرين، وأن نتذكر أننا أيضا يمكن أن نخطئ في حق الغير، والمؤمن يلتمس العذر لأخيه، والعفو والصفح والتسامح والتواصل من أهم الصفات التي دعا إليها الإسلام بوسائل وأساليب ونصوص كثيرة، ومن أدلها وأشملها قوله:"أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفو عمن ظلمني، وأصل من قطعني، وأعطي من حرمني، وأن يكون نطقي ذكرا، وصمتي فكرا، ونظري عبرة"القرطبي. وكل أمر أمر الله عز وجل به رسوله هو أمر لأمته ولكافة المسلمين في كل زمان ومكان، إلا أن يكون هناك مايخصصه بالأمر.

فاللهم إنا نسألك أن تجعل الإخلاص دأبنا، والعدل شيمتنا، والقصد منهجنا، والعفو خلقنا، والعرف عادتنا، ونسألك اللهم أن تلين ألسنتنا بذكرك، وتصلح قلوبنا بهدايتك، وأن تغفر لنا بحلمك، وترحمنا بعفوك وفضلك، إنك غفور رحيم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله إن الحمد كله لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لاشريك له، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المؤمنون ، لما أنزل الله عز وجل على سيدنا محمد قوله تعالى: "خذ العفو، وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" سأل رسول الله ماهذا ياجبريل؟ فقال: لاأدري حتي أسأل العالم. سبحانه وتعالى . فذهب، فمكث ساعة ثم رجع فقال: "إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك". فكانت هذه الأخلاق دوما من أهم دعائم الخلق النبوي القديم، ومنهج الصحابة البررة الأكرمين رضوان الله عليهم أجمعين، فقد كانوا حريصين على تطبيق أوامر الله وتنفيذها، والاقتداء بسيرة الرسول والتزام شمائلها، والوقوف عند المنهيات والمحرمات واجتنابها: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن... فدخل على الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه . وكان أصحاب مجالس عمر ومشورته من القراء كهولا وشبانا . وقال: يا ابن الخطاب، والله ماتعطينا الجزل، ولاتحكم بيننا بالعدل! قال: فغضب عمر حتى هم بأن يقع به، فقال أحدهم:يا أمير المؤمنين، إن الله قال لنبيه عليه السلام: "خذ العفو، وامر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين"، وإن هذا من الجاهلين. فوالله ماجاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله عز وجل.

فيا أيها الإخوة المؤمنون، كونوا قوالين للخير، فعالين للمعروف، محسنين للقريب والبعيد، إذا تسفه عليكم أحد أو تطاول، أو جهل عليكم مفتر أو تجاهل فاتركوه وأعرضوا عنه، ولاتعاملوه بمثل سفهه، أو تجهلوا عليه بمثل جهله، فتكونون سواء، بل اعملوا بقول الرحمن الرحيم سبحانه: "وأعرض عن الجاهلين" واتبعوا سنة النبي المصطفى الكريم الذي طالما أساء له قومه، فكان يقابل إساءتهم بالاستغفار لهم، والدعاء بهدايتهم، وكان يصل من قطعه، فصلوا من قطع أرحامكم، وكان يغض عن إساءة المسيء ويقابلها بالحلم والصبر والاحتساب، ففضوا عن المسيئين واصبروا عليهم، وتمثلوا قول العزيز الرحيم: "وليعفوا وليصفحوا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم!! والله غفور رحيم (سورة النور22.24) وقوله سبحانه وتعالى: "ولمن صبر وغفر، إن ذلك لمن عزم الأمور"سورة الشورى40.42.

إعملوا عباد الله بوصايا ربكم، وعيشوا على منهج نبيكم، ولكم في ذلكم أجر كبير وثواب عظيم وعون من الله العلي القدير على أمركم، ونصر على أعدائكم، وكفاية لشر الأشرار في معاملتكم، فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال يارسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال: "لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملل . أي تطعمهم الرماد الحار . ولايزال معك من الله ظهير. أي معين . عليهم ما دمت على ذلك.

ومسك الختام دعاء للرب الرحيم، وتضرع للعلي العظيم أن يحسن أخلاقنا، ويلهمنا رشدنا، ويملأ بالإيمان واليقين قلوبنا، وأن يعفو عنا، ويصلح حالنا، وأن يوجهنا إلى ما فيه خير العباد والبلاد.

اللهم اغفر لنا ماقدمنا وما أخرنا وماأسررنا وما أعلنا وأنت أعلم به منا، يارحمن أنت غياثنا فبك نغوث، وأنت ملاذنا فبك نلوذ، وأنت عياذنا فبك نعوذ، يامن ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة، نعوذ بك من خزيك وكشف سترك، ونعوذ بك من الفرقة في صفوفنا، ومن تسلط الأعداء الجبارين علينا. اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، ونعوذ بك منك، لانحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

علم التوقيت ، والاختراع المغربي في آلة ربع الشعاع

- الحلقة الثالثة-

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ في إطار إحياء التراث الإسلامي وإخراج نفائسه وكنوزه لكي يكون في متناول الباحثين والدارسين والمثقفين عموما والمولعين بعلم التو قيت خصوصا نواصل إبراز جانب من جوانب هذا التراث الخالد فأقول:

إن عناية المغاربة بعلوم الرياضيات والفلك وما يتبع ذلك لا تقل أهمية عن غيرها من العلوم الأخرى التي برزوا فيها ، ويؤكد هذا . مما لا يبقى معه مجال للشك. ذلك التراث الطويل العريض من المؤلفات القيمة، وقائمة الأعلام المرموقين في تلك الفنون، وكذلك تلك الآلات الدقيقة الصنع القريبة من التعقيد أحيانا ، السهلة الاستعمال.

ولعل أبرز علم من تلك الأعلام في نهاية القرن التاسع عشر سيدي عبد السلام العلمي المتوفى سنة 1905 ، العالم الرياضي الفلكي المحنك، والمهندس الكبير، والطبيب الماهر الخبير ، والصيدلي القدير، غاص هذا الرجل بفكره الثاقب على هذه العلوم الدقيقة، وأخذ منها حظا وافرا، وكان فيها من المبرزين حسبما شهد له بذلك معاصروه، وتآليفه، ومخترعاته تدل على عبقريته في تلك الفنون.

لنسمع إليه وهو يحدثنا في كتابه (دستور أبدع اليواقيت) المعروف (بالمقدمة) إذ قال:

(اعلم أنه لما أراد توجيهي لمصر القاهرة السلطان مولانا الحسن بن السلطان سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمان . بقصد المزيد لما يخصني من علم الطب الجديد ، أقمت الطالع ، وقومت الكواكب، وحررت نصبة الاختبار لذلك السفر، ثم تذكرت ما كان ينهاني عنه والدي . رحمه الله- في علم الرؤيا ، من اشتغالي بعلم الأحكام النجومية ، وتهديده لي على ذلك ، فنبذت تلك النصبة، وخالفت طالع ذلك الاختبار لوقت السفر، وتوكلت على الله تعالى، وتوجهت لمصر بقصد الدخول للاسبطالية المذكورة المعروفة "بقصر العيني " لقراءة الطب الجديد، فحصل لي من التيسير والشرف والاعتناء ما لا مزيد عنه، حتى كان رئيس الاسبطالية المذكورة محمد علي باشا لا يدعوني إلا بمولانا المعظم، وساعدني على حضور جميع دروس مدرسة الاسبطالية من أول سنة، فحضرت دروس علم الجراحة الكبرى والصغرى ، وعلم التشريح، وعلم الأمراض الباطنية ، وعلم الأقرباذين، وعلم الرمد، والداء الزهري).

كل ذلك علما وعملا في عيادة المرضى، وعلم الكيمياء الطبية وعلم المواليد الثلاث، الحيوان والنبات، والمعدن، وأباح لي الدخول لأسبطالية أمراض النساء مع حكيمها.

ومن جملة ما حصل لي من الشرف ، أني تشرفت بالاجتماع مع العالم العلامة البركة شيخ المالكية الشيخ عليش ، وطلب مني أن تقرأ معه ملخص الجغميني في " علم الهيئة "، وزيج السلطان ألوغ بك في " علم التعديل" ، فأجبته لذلك ، ومن جملة ما حصل لي من الشرف ايضا نصرتي من مع مناظرتي مع رئيس برج الرصد المذكور ، فألزمنا الرئيس المذكور الحضور عنده سبعة أيام بقصد الامتحان .

فتذاكرنا في تلك المدة ، فنصرني الله عليه، وأعطاني خط يده بتسليم اختراعي لها، فحيننئذ قبلت، وحازها رئيس ديوان المدارس، وجعلت في بيت الآلات الفلكية في صندوق غطاؤه من زجاج ، لينظرها جميع من دخل لذلك البيت من سياح الأجناس وغيرها، ليروا منقوشا عليها اسم مخترعها، وأعطيت شهادة تشريف بذلك من أحد رؤساء أعضاء مجلس ذلك الديوان) انتهى كلامه.

فآلة " ربع الشعاع" التي اخترعها سيدي عبد السلام ألف عليها كتبا في طبيعة العمل بها سماه« إرشاد الخل لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل"

وهو يتناول كيفيفة العمل بهذه الآلة الفلكية العجيبة ، بحيث أنك تعرف بها الساعات الماضية والباقية من النهار والليل، ودرجة الشمس وميلها إذا علمت الساعة والجهات الأربع وغير ذلك من المطالب الفلكية، وهي تصلح لجميع العروض، كما أنه تطرق إلى كيفية صنعها ، ووضع هندستها الفلكية الميكانيكية مع وضع رسوم بيانية لها في المقالة الثالثة عشرة من المقدمة:

«ولما صنعت هذه الآلة واختبرتها طبق تعليماته رحمه الله وجدتها في غاية الدقة والإتقان، وتبين لي أن الشيء الذي ألهم الأستاذ العلمي لهذا الاختراع هو آلة الكرة، أعني ذات الكرسي، فأعمالها أي الكرة نفس الأعمال التي يقوم بها ربع الشعاع المذكور، وعندي كرة سماوية ذات كرسي حاولت أن أقارن بينهما، أي بين ربع الشعاع والكرة، فوجدتهما يسيران على نسق واحد، ويتحقق من هذا الواقف عليه».

والأستاذ عبد السلام العلمي . رحمه الله ، ذكره أنه اخترع آلة أخرى وسماها" جعبة العالم" نوه بها في المقدمة المذكورة ، وقال : إنه أهداها السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمان، وقال عنها في المقدمة :(فإنا أعرضنا عنها لعسر صنعتها، وصعوبة العمل بها، وإن كانت جامعة لجميع العروض) ، انتهى.

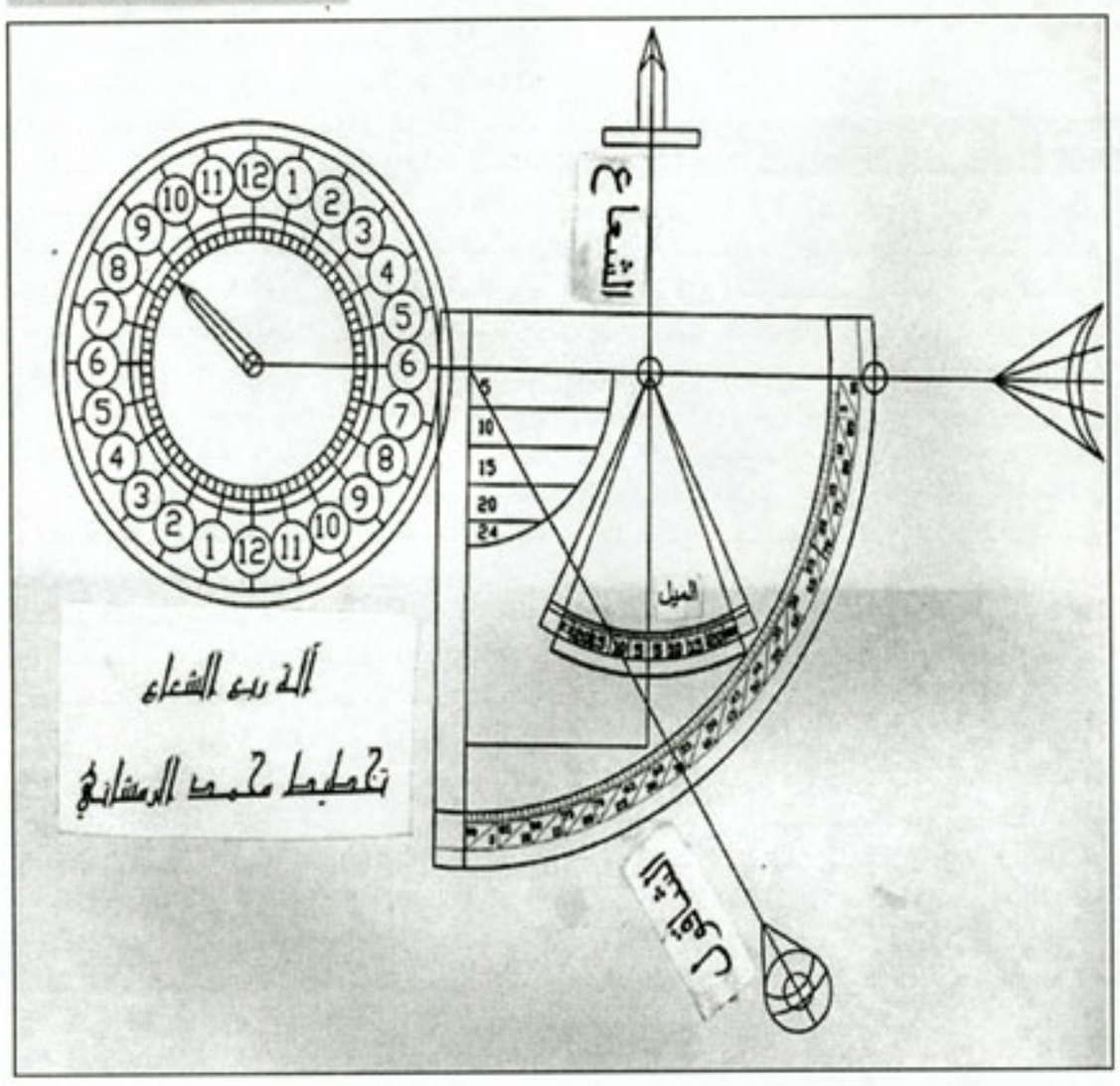

ولم أقف على هذه الآلة بعد البحث الشديد، ولا أدري هل ألف عليها كتابا أم لا، والأستاذ العلمي لما شرح " أرجوزة تحرير المواقيت " للوزكاني شرحا طويلا مستفيضا رأى أن المشروح في غاية الإيجاز، والشرح في غاية الإطناب والإعجاز ، فجرد الشرح من تلك المسائل الطويلة، وشرح الأرجوزة بشرح مختصر سماه" أبدع اليواقيت" طبع على الحجر بفاس ثم صنف تلك الموضوعات الطويلة في كتاب آخر سماه " دستور أبدع اليواقيت " وهو المعروف بالمقدمة التي سبق ذكرها، ورتبها على سبعة عشر علما ، حيث يقول في طليعة كتابه « أبدع اليواقيت»:

(فجمعت تلك المسودات وبوبتها بحسب ما اشتملت عليه من الفنون ، ورتبتها وضمنتها مقالات في تلك المقدمة السنية ، فجاءت مشتملة على سبعة عشر علما، وهي لمتعاطي هذا الفن كافية:

. المقالة (1) في علم الحساب.
. المقالة (2) في علم الجبر.
. المقالة (3) في فن النسبة العشارية اللوغاريتمية.
. المقالة (4) في فن النسبة الستينية.
. المقالة (5) في علم الهندسة.
. المقالة (6) في علم المساحة المعروف بعلم التكسير.
. المقالة (7) في علم المرآة وانعكاس الأشعة المعروف بعلم الضوء ، ويسمى علم المناظر.
. المقالة (8) في علم الطبيعة.
. المقالة (9) في علم الهيئة.
. المقالة (10) في علم االتنجيم.
. المقالة (11) في علم الجغرافيا.
. المقالة (12) في تسطيح الكرة.
. المقالة (13) في فن الرسم، أعني رسم تخطيط الآلات الميقاتية.
. المقالة (14) في حساب التواريخ.
. المقالة (15) في علم الرصد.
. المقالة (16) في علم التعديل، ويقال له علم الزيج والتقويم.
. المقالة (17) في علم الميقات.

بقي الشرح في غاية المناسبة للمشروح خاليا من التطويل الممل، ومن الاختصار المخل، انتهى " وهذه المقدمة هي من المؤلفات الضائعة".

وبعد البحث الجاد عن نسخة تامة من هذه المقدمة منذ25 سنة لم نعثر إلا على نسختين غير تامتين، وتنقص كل واحدة منها خمس مقالات ، زد على ذلك أن النسختين المخطوطتين اللتين في حوزتي سقطت منهما بعض الأشياء الهندسية، والرسوم البيانية، التي يحيل عليها المؤلف في مقالاته ، فتجده يتحدث عن خطوط ، وأقواس، وزوايا، ورموز، لا وجود لها في النسختين المذكورتين.

والسبب في ذلك -والله أعلم- عجز الناسخ عن رسمها ، فقد ترك لها بياضا في جميع أمكنتها، ولعله كان يرجو من له القدرة على وضع هذه الأشكال الهندسية في مواضعها، لأنها تحتاج إلى متخصص فيها.

ولعل الظروف لن تساعد الناسخ ، وبقيت كل نسخة عارية من بعض الأشكال الهندسية، والرسوم التوضيحية ، مماجعلها مبتورة وناقصة. وهذا شيء يؤسف له حقا ، وضاع الكتاب ، ولا أدري ربما يجود الزمان بنسخة تامة أو الشرح الكبير الذي كان ألفه العلمي على أرجوزة الوزكاني ، وأرجو أن يتيسر لي أو لغيري ذلك.

(يتبع)

روح خطبة الجمعة في النصوص التي تتخللها

القرآن وهيمنته على التشريع والوعظ

■ إعداد الدكتور : محمد حمان

- الحلقة الرابعة -

■ لاشك أن خطبة الجمعة تعتبر من صميم التشريع الإسلامي، وبما أن كتاب الله ترجع إليه جميع أصول الشريعة الإسلامية، بل يمكن اعتباره مسيطرا ومهيمنا عليها جميعا، فإن الخطيب لا مناص له من الرجوع إلى الكتاب العزيز في كل خطبة يخطبها على الناس يوم الجمعة، وفي استخدام النصوص القرآنية أو الحديثية عند الاحتياج إليها تظهر براعة خطيب الجمعة، فمهما كانت المجالات والمناسبات التي تجعله يربط خطبته بها فإن عليه أن يدعم أقواله حول هذه المناسبة أو تلك وحول هذا المجال أو ذاك ببعض الآيات من كتاب الله، وببعض الأحاديث من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الخطب الإنشائية التي لاتتخللها نصوص الكتاب العزيز، ونصوص السنة النبوية الشريفة، لايكون لها التأثير القوي على المستمعين، مهما كانت براعة الخطيب الإنشائية، وربما انعدم تأثيرها بالمرة على الفئات العريضة من الناس، فالذي يلقي خطبته في موضوع الصبر مثلا يمكنه أن ينطلق من قوله سبحانه وتعالى: "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة، وأولئك هم المهتدون"سورة البقرة الآيات:155،156،157.

وبإمكان الخطيب هنا أن يستشهد بقوله جل علاه: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"، وبقوله عز من قائل: "إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين"، وبقوله عليه الصلاة والسلام: "عجبا لأمر المومن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك إلا للمومن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له".

والذي يلقي خطبة الجمعة على جمهور المصلين الحاضرين في موضوع البعث ويوم القيامة عليه أن يركز على قوله عز وجل في مفتتح سورة الحج: "يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد" ويمكنه أن يستشهد كذلك، وهو يستعرض أهوال يوم القيامة على السامعين، بقوله جل علاه: "يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه"، وبقوله عز من قائل: "يوم يتذكر الإنسان ماسعى، وبرزت الجحيم لمن يرى، فاما من طغى وآثر الحياة الدنيا، فإ ن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى" وفي هذا المقام يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لن تزول قد ما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: "عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتبسه وفيما أنفقه، وعن عمله ماذا عمل فيه" ويقول عليه الصلاة والسلام: "يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب في الأرض عرقهم سبعين ذراعا، وأنه يلجمهم يبلغ آذانهم" وإكمالا للفائدة يستحسن للإمام الخطيب في هذا الموضوع أن يقرأ عند الصلاة بعد فاتحة الكتاب بكل من سورة الزلزلة، وهي قوله سبحانه: "إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره" وسورة القارعة، وهي قوله جل علاه: "القارعة ما القارعة وماأدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، فأما من ثقلت موازينه، فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه، فأمه هاوية وماأدراك ماهية نار حامية" فالسورتان معا من أولهما إلى آخرهما في قيام الساعة، كما هو واضح من خلال ألفاظهما القوية قوة الصواعق المدمرة، وهذا هو الهدف من إثبات جملهما وكلماتهما هنا.

وقد يلاحظ خطيب الجمعة على بعض أفراد جماعته أنهم لايتورعون عن شرب الخمر وتناول المخدرات أو ترويج مثل هذه الخبائث بالمتاجرة فيها وبيعها للآخرين، فيخصص خطبة من أجل بيان حكم الله في الخمر ومايماثلها من كل ماله تأثير على عقول الناس، أو فيه تدمير لأموالهم وأوقاتهم وصحتهم، ومثل هذا الخطيب لابد له من التركيز على قوله سبحانه وتعالى: "يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون"

تلاقي القرآن والحديث في الخطبة:

ويحسن من هذا الخطيب أن يستشهد في هذا المقام بما يرويه الشيخان وأبو داود عن أنس (رضي الله عنه) أنه قال: "كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي بن كعب من فضيخ وتمر فجاءهم آت فقال: إن الخمر قد حرمت، فقال أبو طلحة: قم يا أنس فأهرقها، فأهرقتها"

ومما يحسن الاستشهاد به هنا كذلك مايرويه البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن، ولايسرق السارق حين يسرق وهو مومن، ولايشرب شارب الخمر حين يشرب وهو مومن".

وصلاة الجمعة نفسها تحتاج من الخطيب أن يخصص لها خطبة خاصة بها، وخصوصا إذا رأى بعض الناس في جماعته يتغيبون عنها ويزهدون في حضورها من حين لآخر، فيبين لهم أنها فرض قائم بذاته، وأنها لاتغني عنها صلاة الظهر الرباعية في أي مكان، وأن المكلف مسؤول عن أدائها في المسجد الجامع، ومن وراء الإمام، ومع جماعة المسلمين، وأنه محاسب عند الله على ضياعها، ولو صلى الظهر في وقتها رباعية، والنص القرآني الذي يركز عليه خطيب الجمعة هنا هو قوله عز وجل: "يأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم، إن كنتم تعلمون، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، وإذا رأوا تجارة أولهوا انفضوا إليها وتركوك قائما، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين".

فهذا النص القرآني يتضمن وجوب صلاة الجمعة في المسجد من وراء الإمام ومع الجماعة، وترك أي شيء يشغل المسلم عنها، وأن المومنين ملزمون بالذهاب والسعي إليها، والاستماع إلى الخطبة التي يلقيها عليهم الإمام وهو قائم، وأنه لايجوز لهم مغادرة المسجد إلا بعد انتهاء إمامهم من الخطبة والصلاة معا.

ولابأس أن يستشهد الخطيب هنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : "خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولاتقوم الساعة إلا في يوم الجمعة"، وبقوله صلى الله عليه وسلم: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم، فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد".

وخطيب الجمعة قد تفرض عليه المناسبات والأعياد الوطنية والدينية نفسها فيكون ملزوما بأن يخطب حول هذه المناسبة أو تلك، وحول هذا العيد أو ذاك، فليس من المعقول أن تمر عليه مثلا مناسبة شهر الصيام دون أن يخاطب الناس في فضيلة هذا الشهر المبارك، وفي حكم وفوائد الصيام الدينية والصحية، مع تذكيره لمن يحتاج إلى التذكير بأن صوم رمضان ركن من أركان الإسلام.

والمنطلق الأساسي للخطيب فيما يقوله عن أحكام وحكم الصوم هو قوله عز وجل: "يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفرفعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم، إن كنتم تعلمون، شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر، ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون" ومما يمكن للخطيب أن يضيفه هنا من النصوص الحديثية قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه" وعليه أن يستشهد في عموم الصوم بالحديث القدسي، وهو قوله عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك".

ومايقال عن هذا الركن الهام من أركان الإسلام يقال مثله أو أكثر منه عن موسم حج بيت الله الحرام، فهو من أركان الإسلام كذلك، ويأتي في أوقات محددة كسابقه، واعتنى به كتاب الله عناية كبيرة ففي ركنيته ووجوبه يقول ربنا سبحانه: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا"وفي بيان وقته وبعض مناسكه يقول الله تعالى : "وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي، ولاتحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك، فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب، الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولا جدال في الحج وماتفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب، ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام".

كيفية أداء مناسك الحج والعمرة باختصار على مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه)

■ إعداد الأستاذ أعمون مولاي البشير

الحلقة الثانية

محرمات الإحرام 12 فاحذرها وتجنبها وهي:

1 . الجماع ودواعيه كالقبلة والمعانقة والمباشرة فإياك أن تفعل شيئا منها في حالة الإحرام فإن ذلك يفسد الحج.

2 . مجاوزة الميقات بدون إحرام أي نية.

3 . إزالة الشعر من ثلاث شعرات فأكثر من رأس الرجل أو المرأة أو من سائر بدنهما سواء بالنتف أو الحلق أو التقصير.

فمن اضطر لحكّ شعره فليفعل ذلك برفق وببطون أنامله حتى لا ينتف شعره.

4 . قص أظافر اليد أو الرجل كلها أو بعضها .

5 . لبس الرجل مخيطا محيطا بأي عضو من أعضائه كالقميص، والساعة، والخاتم، وقفاز، وطربوش.

6 . تغطية رأس الرجل ووجهه.

7 . عقد الإزار والرداء أو ربطهما بتكة أو حزام مراعاة للمال.

8 . استعمال الطيب مطلقا.

9 . غسل البدن أو بعضه بقصد إزالة الوسخ ما عدا اليدين لأجل الأكل.

10. الاستظلال بمظلة أو نحوها.

11 . التعرض لصيد البر وقطع نبات وشجر مكة.

12. مخاصمة الرفاق والخدم لقوله تعالى« فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولا جدال في الحج» فهذه باختصار بعض محرمات الإحرام وكلها توجب الفدية إلا الجماع فإنه يفسد الحج.

والفدية هي أحد الأشياء الثلاثة:

1 . إما ذبح شاة والتصدق بلحمها على فقراء الحرم.

2 . وإما صيام ثلاث أيام

3 . وإما إطعام ستة مساكين ، لكل مسكين مدان.

فاحذر أيها الحاج أن تقع في شيء من تلك المحرمات، ما دمت في الإحرام ، واستمر على قراءة التلبية في طريقك ولا تقطعها حتى تصل المسجد الحرام بمكة ، فإذا ظهرت لك مباني مكة فازدد حماسا بالتلبية ، وإذا دخلت المسجد الحرام ووقع بصرك على بيت الله الحرام فقل:

«اللهم زد هذا البيت تشريفا وتكريما وتعظيما ومهابة اللهم أنت السلام ومنك السلام فحيّنا ربنا بالسلام».

ثم تذهب إلى بيت المطوف لتنزل أمتعتك وتتوضأ إن لم تكن متوضئا، واذهب مع المطوف فورا وقبل أن تستريح إلى بيت الله الحرام وادخل المسجد برجلك اليمنى من باب السلام استحبابا خاشعا خاضعا ، واقصد الكعبة وادخل محل الطواف، من باب (بني شيبة) قائلا : رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا، ثم طف طواف القدوم وهو واجب من واجبات الحج.

وكيفية الطواف هو أن تستلم الحجر الأسود أو تشير إليه بيدك وتضعه على فمك قائلا باسم الله، الله أكبر فإن ذلك هو ابتداء الطواف واجعل البيت عن يسارك ثم أسرع في الأشواط الثلاثة الأولى إن أمكن لك وامش على عادتك في الأربعة الباقية وكلما مررت على الحجر الأسعد فاستلمه أو أشر إليه بيدك وقبلها بعد الإشارة إليه عند الازدحام وكبر.

وكذلك الركن اليماني تلمسه بيدك وتضعه على فمك من غير تقبيل، وهكذا تفعل حتى يتم لك سبعة أشواط، وتقول عند ابتداء الطواف: باسم الله، الله أكبر ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاءا بعهدك واتباعا لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم ، وادع بما شئت فإن المقام عظيم مستجاب الدعوات ، ثم تقرأ بين الركن اليماني والحجر الأسعد عند كل دورة (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، وإليك صورة تقريبية للبيت والمطاف.

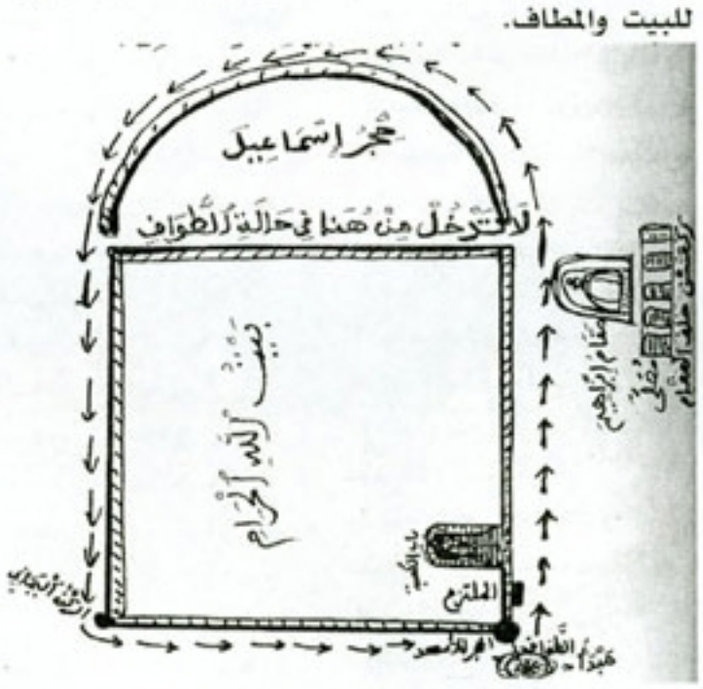

وبعد الانتهاء من الطواف بالبيت سبعة أشواط صل ركعتين خلف المقام (مقام إبراهيم) بالفاتحة وقل ياأيها الكافرون في الأولى وبسورة الإخلاص في الثانية، وهو واجب من واجبات الحج، واشرب من ماء زمزم وادع مستقبلا القبلة عند شربه بما شئت فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ماء زمزم لما شرب له" ثم اخرج مباشرة إلى الصفا لتسعى بين الصفا والمروة لأن اتصال السعي بالطواف الواجب واجب كذلك، واصعد إلى الصفا واستقبل القبلة وقل: الله أكبر 3 مرات،: لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . ثم ادع بما شئت، ثم تسعى حتى تصل المروة وتفعل كما فعلت في الصفا . ثم ارجع وعد إلى الصفا حتى يتم لك سبع مرات تبتدئ بالصفا وتختم بالمروة . هكذا :

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

تحديات خطيرة تواجه المسلمين وعقيدتهم، فإلى متى تدوم فرقتهم؟

على شاشة إحدى القنوات شاهدت مجموعة من جنود الاحتلال وهم يقتحمون مسجدا عراقيا، واقترب أحدهم من المحراب فراح يعبث بصفحات من القرآن الكريم! ودخل آخرون إلى مسجد أبي حنيفة فاقتادوا عددا من المصلين بدعوى انتمائهم إلى المقاومة، في حين كانت مجموعات أخرى تداهم البيوت وتروع النساء والأطفال.

وفي السياق نفسه ، قرأت أخبارا عن قوافل المنصرين المتقاطرين بالآلاف على العراق لدعوة المسلمين العراقيين إلى المسيحية ، وفي هذا الصدد أوردت صحيفة" دايلي تلغراف " الأنجليزية أن مجلس التبشير العالمي ، يقود عملية التنصير في العراق حيث يتم إدخال عناصره إلى العراق تحت ذريعة العمل في مؤسسات الإغاثة الدولية.

وقام مدير المجلس بتوجيه نداء لأتباع الكنيسة البالغ عددهم 16 مليون شخص للسفر إلى العراق لدعم جهود المنصرين هناك . وقال في ندائه: إننا نصلي كثيرا ليفتح الرب باب العراق لرسالة الإنجيل وذكر بأن هناك حربا على الروح، وتنافسا مسيحيا إسلاميا على عقول العراقيين، ووصف الرئيس السابق للمعمدانية الجنوبية " فيجيري فاينز، محمدا (ﷺ) بأنه رجل تسكنه الأرواح الشريرة ، فيما قال" غراهام" ابن الداعية المسيحي المتعصب ان الاسلام هو دين شيطاني شرير، ولا ننسى ما باح به نائب مساعد وزير الدفاع الأمريكي لشؤون الاستخبارات الجنرال " وليام يولكين" عندما قال : إن جنودنا وأسسنا مسيحية يهودية والعدو هو شخص يدعى الشيطان ، وأضاف: كنت أعرف أن ربي أكبر من ربهم ، كنت أعرف أن ربي إله حقيقي وأن ربهم هو صنم.

هذه هي حالة الاسلام اليوم وهو يواجه أخطر التحديات التي تمس العقيدة والإيمان والقرآن ، لقد تكالب عليه أعداؤه، وحاطوا به من كل جانب ، يصدق عليه قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه في حديث رواه ثوبان رضي الله عنه « توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل:"أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يارسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

المتأمل لهذا النطق النبوي يأخذه العجب عن حالة المسلمين في عصرنا هذا مع ان إلههم واحد، ورسولهم واحد وقرآنهم واحد وسنتهم واحدة ومع ذلك فإن أممهم ممزقة وشعوبهم متفرقة، وجماعاتهم متصارعة وفرقهم متناحرة، ومذاهبهم مختلفة بالرغم من القرآن الذي يدعوهم إلى الوحدة والتآزر والتماسك ونصرة بعضهم بعضا، ولعل قراءة التاريخ تغنينا عن كل شاهد إذ تمزقت الأندلس بسبب الفرقة وهجم التتار، وجاء الاستعمار فانقض هو الآخر على بلاد الاسلام في الشرق وفي الغرب، وحل الصهاينة بفلسطين ودنسوا المسجد الأقصى.

إن الدول الأوروبية رغم ما يوجد بينها من عداوات وتطاحن، وبالرغم من تعدد لغاتها واعتزاز كل دولة بلغتها، ورغم تنوع ثقافاتها وحضاراتها وسباقها فيما بينها على تحقيق التقدم العلمي والابتكار في الاختراعات فإن هذه الدول نادت بالوحدة وتيقنت واقتنعت بأن العصر الحديث الذي نعيشه يختلف عن العصور السابقة وانه لا بقاء فيه للدول المنفردة، وأن البقاء والقوة لتجمعات الدول المتحدة، بل وصلت الوحدة إلى توحيد العملة النقدية وصار " اليورو" هو عملة خمسة عشر دولة أوروبية.

ياترى هل اهتزت مشاعر الأمم الإسلامية من وحدة الأوروبين؟ هل دفع ذلك المسلمين إلى أن يتخذوا من دول أوروبا قدوة ا لينهجوا نهجها ويسيروا على دربها بعد أن أهملوا دعوة دينهم وأمر ربهم؟ ، ومن المعروف لدى الخاص والعام أن رابطة الإيمان والعقيدة أقوى من روابط اللغة والعادات والمصالح، وأن التقارب بين الناس والتفاهم يقوم مع وحدة اللغة على وحدة المبادئ والعقائد والغايات.

لقد جاء الإسلام فآخى بين العربي والعربي وبين العربي وغير العربي ، وجمع المسلمين تحت عباءته على مبادئه السامية، وألف بين قلوبهم وجعلهم أمة واحدة رغم اختلاف الاجناس واللغات.

وبروح الأخوة هاته يعتقد كل مسلم في أي بلد من بلاد الاسلام أن المسلم الياباني والصيني والروسي والأوربي والأمريكي كأخيه الذي يعيش معه في بلد إسلامي.

إن وحدة آلام المسلمين وآلامهم لتتفاعل في وجدانهم وقلوبهم جميعا حين يرون جوانب العدوان عليهم وعلى عقيدتهم وقرآنهم بتأثير الأحقاد الدفينة التي تؤججها الصهيونية ومن يؤازرها في عالم يحتكم الى شريعة الغاب ويدوس الشرعية الدولية وقانون حقوق الإنسان.

مواقع النجوم

قال تعالى: " فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم"

- الحلقة السابعة-

■ إعداد الأستاذ: مراد الخروبي

فناء الكون

هناك نظرية تسير في الاتجاه الذري الذي يقول بأن الكون سيستمر في التمدد والتوسع كما أخبر بذلك الحق سبحانه بقوله عز وجل:" والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون" سورة الذاريات الآية47.

ثم يأتي من بعد ذلك يوم تنفد فيه طاقات النجوم وتنطفئ أضواؤها وتخبو إشعاعاتها ثم تموت كافة الأجرام ،والكواكب ويفنى الجميع ثم يعود الكون إلى حالته الأولى التي كان عليها كتلة غازية ملتهبة قبل حدوث الانفجار العظيم الذي فتق ما كان رتقا.

وهناك آيات تشير إلى هذه النهاية الحتمية بما لا يتعارض مع هذه الاتجاه العلمي من ذلك . قوله تعالى: " إذا السماء انفطرت، وإذا الكواكب انتثرت " سورة الانفطار الأيتان :1.2 . وقوله سبحانه : « إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت» سورة التكوير / الأيتان:1.2 .

. إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت... سورة الانشقاق : الآيات 1.5.

وقوله تعالى : « وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة، والسماوات مطويات بيمينه" سورة الزمر الآية:64.

. «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين » سورة الأنبياء الآية 103.

وأخيرا يحدثنا القرآن الكريم عن جانب علمي هام لا قبل لعلماء الفلك الماديين بإدراكه لكونه يتعلق بالغيبيات التي أخبرنا بها المولى عز وجل وهي أن سبحانه وتعالى سيبدل الكون يوم القيامة بكون آخر قال تعالى مبينا هذا الأمر الغيبي « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار » سورة إبراهيم الآية 48.

خاتمة

وأخيرا ماذا يمكن أن نضيفه من قول عن نظام الكون ككل؟

وبماذا يمكن أن نختتم هذا البحث الذي بدأناه متوجسين خيفة أن لا ننجح في إبراز خطوطه العريضة للقراء الأعزاء ... ولكن الله سلم.

إن ما يراودنا ويخامر فكرنا ونحن نحاول صياغة خاتمة موفقة يتجلى على الخصوص في تصارع الأفكار وتزاحمها واندفاعها وتدفقها بشكل غزير لدرجة تذكرنا بقولة الجاحظ المشهورة« إن الكلام يزدحم في صدري فأقف لأتخيره»

إن ما ينتابنا من أفكار متضاربة بخصوص صياغة خاتمة موفقة تناسب قيمة الموضوع شكلا ومضمونا لهو شيء طبيعي يمكن أن يشعر به كل باحث بذل جهدا في العرض والتحليل.

إن مجهودنا متواضع ، وتحليلنا واضح غير أن طموحنا العلمي في التبليغ يشرئب إلى ماهو مشرق وساطع.

إن رغبتنا العارمة في إيصال ما نريد إيصاله من أفكار علمية إلى أذهان القراء الأعزاء وخصوصا منهم متوسطي الثقافة لا تقف عند حد... ولن يتحقق لنا ما أردناه من خاتمة مرضية إلا بالحديث عن نقطة مشتركة تهم الموضوع ككل وتلم شعثه ، وتضم أجزاءه إلى بعضها دون تفرقة فيما بينها محافظة على التناسق المطلوب والتناغم المنشود ... إن النقطة التي نريد أن نجعلها مسك الختام لهي الموازنة بيم خلق الخلائق وخلق السماوات.

فهل هناك ياترى مصدر علمي وثيق يمكن أن يسعفنا ويساعدنا على الجواب وبالتالي البلوغ إلى شاطئ الصواب أم أننا سنعجز عن العثور عليه ويصيبنا اللغوب بعد أن قطعنا أشواطا طوال وأوشكنا على البلوغ إلى نهاية المطاف؟

لنرجع إذن إلى القرآن الكريم الذي هو حبل الله المتين المتصف بكونه من تمسك به نجا ومن اهتدى به هدي فبقراءتنا لبعض ما جاء في محكم الذكر نجد الحق سبحانه وتعالى يخاطبنا بآية كريمة تدلنا على ضالتنا المبحوث عنها ألا وهي قوله تعالى :« أأنتم أشد خلقا أم السماء ، بناها رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها».

مما يلاحظ على هذه الآية أنها جاءت على صيغة سؤال يتطلب الجواب لنتأمل مرة أخرى قوله تعالى:« أأنتم أشد خلقا أم السماء..؟ » سورة النازعات الآية:27.

فمن ياترى الأشد خلقا.. وهل من جواب شافي من شأنه أن يقدم لنا البرهان الساطع والدليل الناصع الذي من شأنه أن يحسم في هذا التساؤل العلمي الهام الذي طرحه علينا الحق سبحانه من خلال القرآن الكريم لنرجع مرة ثانية إلى كتاب الله تعالى لأجل النظر والتدبر ، والتفكر والتمعن، بغية استنباط ما عجزنا عنه من جواب فلا نلبث أن نعثر على الجواب الإلاهي الصحيح عن هذا التساؤل العلمي العظيم ذلك الجواب الذي حسم بصفة قطعية في هذه المسألة وهو قوله تعالى: « لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس...» صدق الله العظيم.

الحج المبرور وصفاته

■ إعداد الأستاذ : أحمد تشكرت

■ للحج مكانة رفيعة في الإسلام، فقد جعله الله فريضة من فرائض هذا الدين ، وركنا من أركانه الخمسة « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » سورة آل عمران/ الآية: 97. وقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا ، ومن رحمة الله بهذه الأمة. أن جعله الله فرضا مرة واحدة في العمر.

وحيث أن الحج يجمع بين نفقة المال ومشقة السفر ، وتعب البدن، فقد اعتبرت الاستطاعة فيه شرطا من شروط وجوبه بناء على ذلك يعتبر من أفضل العبادات وأكثرها ثوابا وأجرا وقد سئل رسول الله (ﷺ) عن أفضل الأعمال فقال:« إيمان بالله ورسوله . ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور» . وقال عليه الصلاة والسلام:« الحجاج والعمار وفد الله أن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم، ويتعين على مريد الحج. حتى يكون حجه مبرورا وسعيه مشكورا- أن يتحلى بمكارم الأخلاق، وأن يتجنب كل قول أو عمل يجر إلى الذنب والاثم، من فسق أو فجورا أو فحش ولغو في الكلام ، أو خصام أو جدال، مصداقا لقوله تعالى: «الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولافسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى، واتقون ياأولي الألباب» سورة البقرة/ الآية:197. وقال (ﷺ) :«من حج فلم يرفث ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه» ، وقال أيضا:« العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما» . والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة، وفيما يلي نستعرض بعض صفات الحج المبرور وهي:

1 . إخلاص النية لله والكسب الحلال:

ينبغي للحاج الذي يريد وجه الله ويحرص على أن يكون حجه مبرورا أن يخلص النية لله عز وجل وأن تكون نفقته من حلال، فقد حج رسول الله (ﷺ) على رحل رث ، وقطيفة تساوي أربعة دراهم ثم قال: « اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة». والكسب الحرام لا يبارك الله فيه ولا يتقبله من صاحبه . لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا.

والله سبحانه وتعالى قسم بين الناس أخراقهم كما قسم بينهم أرزاقهم والله تعالى أيضا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من يحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه وأخرج الإمام أحمد في مسنده . أن النبي (ﷺ) قال :« إذا خرج الحاج حاجا بنفقة طيبة. أي من حلال - ووضع رجله في الغرز أي ركاب الدابة. فنادى: لبيك ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك، زادك حلال وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور وإذا خرج بالنفقة الخبيثة. يعني المال الحرام . فوضع رجله في الغرز ، فنادى : لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء:لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ونفقتك حرام وحجك مأزور غير مأجور».

2 . التوبة الصادقة:

من شروط قبول الحج التوبة الصادقة وإبداء الندم، ورد المظالم إلى أهلها قبل الشروع في السفر، وذلك استعدادا للوقوف بين يدي الله عز وجل، وأمام رسوله (ﷺ) وبذلك يرضى عنه الله والرسول ومن ثم صار من اللازم تعلم أدب الحج قبل الذهاب إلى الحج فإن الله تعالى يعبد بالعلم ولا يعبد بالجهل . ولا عذر للجاهل في عبادة الله والله سبحانه وتعالى يقول :« فاسألوا أهل الذكرإن كنتم لا تعلمون» ، وخاطب الرسول (ﷺ) الجموع ممن حج معه في حجة الوداع « أيها الناس خذوا عني مناسككم» وقال أيضا :«من حج واحدة فقد أدى ما عليه، ومن حج ثانية فقد داين الله ومن حج ثالثة حرم الله جسده على النار».

3 . اختيار الرفيق الصالح.

يستحب للحاج أن يختار الرفيق الصالح على طاعة الله عز وجل وعلى مشقة السفر ، ويفضل أهل التقوى من الناس الذي يمتثلون أوامر الله ويجتنبون نواهيه ، فالبقاع المقدسة ، جعلها الله مكانا خالصا للعبادة والمعاملة الطيبة ، إذ الحج مدرسة ربانية للعشرة الطيبة والتآخي في الله والتفاهم والتعاون على البر التقوى ، والرفقة الصالحة أمر بها رسول الله (ﷺ) . للحديث الذي رواه ابن عمر ، أن النبي (ﷺ) قال : «لا يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده».

4. وينبغي للحاج أن يودع أهله وإخوانه وجيرانه ، ويلتمس دعاءهم فإن الله عز وجل جاعل في دعائهم خيرا كثيرا. وقد كان الرسول ،صلى الله عليه وسلم، دائما يدعو لمن أراد السفر بقوله :« في حفظ الله وكنفه زودك الله تقوى ، وغفر ذنبك ووجهك للخير أين ما كنت» وعلى الحاج أيضا إذا ركب مركبة أن يقول :« اللهم أنت الصاحب في السفر وأنت الخليفة في المال والأهل والولد ، اللهم إنا نسألك في سيرنا هذا أن تطوي لنا الأرض وتهون علينا السفر وتبلغنا حج بيتك وزيارة نبيك محمد ، صلى الله عليه وسلم، « سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون».

5. أن يكثر من تلاوة القرآن الكريم ، والذكر والدعاء والاستغفار وأن يدعو لنفسه ولمن أوصاه من المسلمين. خصوصا يوم عرفة . ويعمم الدعاء .

6. أن يتوسع في الزاد ويكرم الرفيق والسائل وابن السبيل. وأن يترك النفقة لمن تلزمه نفقته قبل سفره.

7 الحرص على الحضور في صلاة الجماعة في المسجد الحرام بمكة وبالمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، فيحصل للحاج الكثير من الثواب والأجر العظيم قال عليه الصلاة والسلام: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» . وقال :« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى ». وقال :«ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام » رواه أبو داود . وقال : «من زارني في المدينة محتسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة» رواه البيهقي في شعب الإيمان.

القوانين المتحكمة في الخطاب الشعري الديني

■ إعداد الدكتور: عبد السلام الطاهري

■ والخطاب الديني في الشعر المغربي يمكن أن نخضعه لأربعة قوانين متكاملة إجرائيا من وجهة سوسيونصية (النظرية الباختية) ، وهذه القوانين هي:

أ. قانون الانفتاح :

ونعني به انطلاق من النظرية الباختية إمكانية تغذي الخطاب بأجناس كتابية أخرى سابقة، وهذا ما نلاحظه في الخطاب الشعري المغربي حيث انفتح على نصوص شعرية متنوعة وكتابات تنتمي إلى التصوف والقرآن الكريم والمأثورات ، ولكن ليعاد إفراغها في قالب مضموني يساير طبيعة " الموضوعة الدينية" سواء ارتبطت بالجهاد أو المولديات أو الولويات.

ب. قانون الاستيعاب:

ويعني ما يكسبه الخطاب الشعري من قدرة على احتواء خطابات صغرى أو أصناف أدبية مغايرة ، كأن يحتوي الشعر الديني شعر المديح النبوي ، وشعر الأولياء والصالحين وشعر الشرفاء، ومشاهير رجال الدين والصلاح ، أو شعر الجهاد على المديح السلطاني ، أو مدح الأمراء. ولا يعني الاحتواء والاستيعاب فوضى الأخذ وعدم الترتيب والقصد في هذا أو ذاك، بل لابد من مراعاة السياق ومقصدية الخطاب والغرض المتحدث عنه، ولابد للخطاب المستوعب (بكسر العين) من علاقة قربى تربطه بالخطابات / النصوص المستوعبة (بفتح العين ، بحيث تصير هذه الخطابات الصغرى المنضوية تحت لواء الخطاب الديني الشعري ، خطاب مكونة له.

ج. قانون التعافعل :

ونعني به رصد مظاهر الخطاب الديني الشعري الذي يتخذ صبغة التعبير عن هوية الشاعر المغربي ، وكينونته الحقيقية ، وخصوصيته التعبيرية من خلال متونه الشعرية ، لأنها موطن أفكاره ومعانيه ودلالاته ، وبالتالي تعكس مدى تفاعله مع واقعه، مما يعني أن قانون التفاعل النصي هو وسيلة هامة لاستحضار الماضي والنظر في إمكاناته وطاقاته ، وإمكان إعادة إنتاجه أو الاحجام عنه والنصوص الشعرية في هذا المستوى أحسن وسيلة لدراسة منتجي الخطاب وأفكارهم ومعانيهم.

د . قانون التحاور: ومفاده في المنطق النظري الباختيني هواستحالة عزلة الألفاظ وابتعاد بعضها عن بعض، لوجود ارتباط وقرابة، ولا يمكن للفظ أن يدل على معنى معين ومحدد إلا داخل سياق تنظيمية.

والخطاب الديني في الشعر المغربي لا يخرج عن هذه القوانين .، فهو يكتسب شكله وأسلوبه التعبيري داخلها ، بانفتاحه واستيعابه وتفاعله وتحاوره مع نصوص أخرى ، وسيره على أشكال خاضعة لمعجم له خصوصيته ، وتوجهه القصدي، في قابلية العديد من العناصر الواردة عليه من مصادر مختلفة في المجال الديني، وأزمنة مختلفة من عهد الرسول الكريم إلى الفترة المدروسة، تحكمها طبيعة الموضوع وسياقه ومعجمه ، ولا يقدم نفسه بيسر ، رغم ما يتميز به من

خطاب الاصلاح، والنهضة والتمدن في الخطاب الديني في الشعر المغربي يقوم على مبدإ الرجوع إلى الحقل الديني والموروث الصوفي ، والفكر السلفي، كذاتية مفتقدة، « يمكن استرجاعها عن طريق الحنين الدائم والمتواصل » ، لأن الخطاب الديني في أطروحته المركزية ينطلق من الحث على الدفاع عن أرض الاسلام والمسلمين وحب الرسول (ﷺ) والتعلق بشيوخ الطرقية ومواجهة الغرب الاستعماري، لإثبات الذات والمحافظة على الهوية الاسلامية، كوسيلة ضرورية لفرض الذات المغربي وتحدي الآخر

وترتيب وصياغة، وهذا الارتباط العضوي الهيكلي بين الألفاظ والموضوع والسياق ، يعني أن اللغة / المعجم وسيلة للتعبير والتواصل الاجتماعي بين الباث والمتلقي بامتياز، كما يعني أن اللغة في تحققها التلفظي (فعل التلفظ / الكلام) هي في تحاور دائم ومواجهة مستمرة ، لكل أشكال التلفظ الأخرى، فحتى اللفظة الواحدة هي في تحاور مستمرة مع غيرها من الألفاظ كإنجاز لغوية ، ولعل الأمر كذلك ، لأنه يتعلق بعملية هدم وبناء لأفكار ورؤى وصور عن الواقع والعالم والانسان بشكل دائم لا يتوقف ، إن اللغة غير الألفاظ والجمل، هي أداة الدفاع عن / أو دحض لأفكارنا ومواقفنا وتصوراتنا، وكما أن هذه الأشياء في صراع " واقعي " دائم ، فإن الألفاظ / اللغة حسب المنظور السوسيونصي هي أيضا في تفاعل وتحاور دائم" ، فهذه القوانين الأربعة نعتقد أنها تؤطر للخطاب ، وتخلق لنفسها قواعد

خصوصيات شكلية ومضمونية عن غيره من أشكال الخطاب الأخرى ، ومن جملة هذه العناصر المميزة على الأقل ، أن الخطاب الشعري الموسوم" بالموضوعة الدينية" هو خطاب شعري في العمق أولا، وذو بعد ديني ثانيا.

وربط الهوية الدينية بالوطن ، وبالرموز التي تمثله، خول للخطاب الشعري في هذه الفترة أن يتضمن في منطلقاته أطروحة دينية ، وشحنة إيديولوجية ، ونهضة فكرية، وانبعاث سياسي، ورأى منتجوه أن خلاص المجتمع يكمن في الدفاع عن هويته الدينية والوطنية، وعن حثه على التمسك والتعلق بالمقدسات ، وبذلك كانوا في عملهم الإجرائي يمارسون إنتاجا شعريا مطبوعا بالطابع الاسلامي، مواكبا لتلك الشروط، ويعبرون من خلاله عن قضايا المجتمع ، ولا نستطيع تقدير أهميته وأثر هذا الانتاج ، إلا إذا عرفنا أن هذا الخطاب هو " هوخطاب سجالي " يتخذ طابعا دفاعيا منظما في قسم منه ، ويصير " خطابا تهديديا" للغزاة الطامعين في السيطرة علينا أولا ، ثم للمتقاعسين عن الجهاد والساهين عن ولاء المقدسات ثانيا، وفي القسم الثاني منه هو " خطاب إقناع وتأثير " على المجتمع مكن جهة ، وعلى مريدي الطرقية من جهة ثانية، وقارئه يواجه خطابا قديما متجددا ، لا يقدم نفسه إليه بسهولة، لتنوع موضوعات خطابه، وتتضح هذه السجالية من خلال الثنائية الضدية الأساسية المحركة لهذا الخطاب:

ال « نحن » / المغرب المسلم ،الآخر /الغرب الصليبي.

وهذه الثنائية كانت سببا في بلورة شعر الجهاد والتحريض على مقاومة ومواجهة الكفار ، التي كانت من بين الأسباب الرئيسية التي أدت إلى طبع هذا الخطاب بالسجالية ، وبالدفاع عن الإسلام والوطن ، والدعوة إلى حب الرسول (ﷺ) وتقديس الأولياء والصالحين، وتبعا لنوعية الخطاب الشعري التي نما في ظل هذه الأجواء يمكن إدراك أبعاده ومراميه، وقراءة مكوناته ، ومدى حدوده النظرية والعملية ، وبالتالي يمكن أن تتيح لنا الشروط التاريخية ربطه بواقعه ، وموضعة إنتاجه ، وهو ما يجعل من قراءة الخطاب الشعري محاولة البحث عن الأصالة وإثبات الهوية الدينية والوطنية، التي عالجها هذا الخطاب، وقد عبد هذه الطريق الجيل الأول والثاني من رواد الشعر المغربي ما بين (1757 . 1860) و(1860.1894)، ونود اقتحام ما أنتجوه من خطاب لتقصي مكونات هذا الخطاب المعتمد على الثوابت والأصول في الدين، وتعتبر مقولة الدين، الوطن ، والمقدس، محور الخطاب الايديولوجي للخطاب الديني في الشعر المغربي ، وهي ذات قيمة مطلقة تتحكم في الحاضر، وترسم ملامح الغد المنشود ، إنها نوع من الملاذ الواقي من ثقل مشاكل الحاضر، ومسؤوليات مواجهة المستقبل" ، أو كما يقول " لاوست" : « لايمكن لأي إصلاح عقدي أن يتم إلا بالرجوع إلى الأصل». وهذا الأصل في نظر ذ . كمال عبد اللطيف هو : الذي تقرره جملة" لاوست " الدقيقة، هو النص / الوحي. الإصلاح إذن هو عودة إلى نص أصل، ومن هنا فإن خطاب الاصلاح، والنهضة والتمدن في الخطاب الديني في الشعر المغربي يقوم على مبدإ الرجوع إلى الحقل الديني والموروث الصوفي ، والفكر السلفي، كذاتية مفتقدة، « يمكن استرجاعها عن طريق الحنين الدائم والمتواصل » ، لأن الخطاب الديني في أطروحته المركزية ينطلق من الحث على الدفاع عن أرض الاسلام والمسلمين وحب الرسول (ﷺ) والتعلق بشيوخ الطرقية ومواجهة الغرب الاستعماري، لإثبات الذات والمحافظة على الهوية الاسلامية، كوسيلة ضرورية لفرض الذات المغربي وتحدي الآخر ، وتقتضي هذه القراءة تحديد مواقع وعناصر اختلافه مع الخطابات الأخرى المخالفة له.

الخطاب الديني في الشعر المغربي لا يخرج عن هذه القوانين .، فهو يكتسب شكله وأسلوبه التعبيري داخلها ، بانفتاحه واستيعابه وتفاعله وتحاوره مع نصوص أخرى ، وسيره على أشكال خاضعة لمعجم له خصوصيته ، وتوجهه القصدي، في قابلية العديد من العناصر الواردة عليه من مصادر مختلفة في المجال الديني، وأزمنة مختلفة من عهد الرسول الكريم إلى الفترة المدروسة، تحكمها طبيعة الموضوع وسياقه ومعجمه ، ولا يقدم نفسه بيسر ، رغم ما يتميز به من خصوصيات شكلية ومضمونية عن غيره من أشكال الخطاب الأخرى

يسألونك عن حج الرسول صلى الله عليه وسلم

■ إعداد الأستاذ : حسني محمد

■ في الآية الكريمة: "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا ، وهدى للعالمين فيه ايات بينات مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنا" سورة آل عمران، الآيتان:96.97.

وهذا البيت سماه الله تعالى كذلك بالكعبة، حيث قال تعالى: (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) سورة المائدة، الآية:97.

وأطلق عليه سبحانه وتعالى اسم البيت العتيق، يقول تعالى:(وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق)سورة الحج، الآية:29.

وهذه الكعبة جعلها الله قبلة للناس جميعا، ومحط أنظارهم، ويدور رحى العبادة عليها، فكل العالم يتجه حولها بالتكبير والتعظيم والركوع والقيام، والعكوف على العبادة حولها.

يقول تعالى فيها بشيرا إلى سيدنا إبراهيم. عليه السلام. :"وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود" سورة الحج، الآية:26.

ودعا الله سبحانه وتعالى العالمين إلى أن يحجوا البيت العتيق فهو دعوة إبراهيم عليه السلام الذي دعاه ربه بأن يؤذن في الناس ليحجوا، فكانت هذه الدعوة أزلية في البشر، حيث يقول تعالى في كتابه العزيز: "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق" سورة الحج، الآية:27. وتتعلق القلوب بهذا البيت العتيق الذي فيه أمر الله في الابتهال إليه، والتقرب من الله بكل وسيلة، يقول تعالى: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم)سورة إبراهيم، الآية:37.

وتظهر أهمية الحديث المذكور أعلاه في مكانة الحج الذي هو ركن من أركان الإسلام (شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان) رواه البخاري ومسلم.

والحج كفريضة تجب ماقبلها إذا اجتنبت الكبائر، ففي حديث ابن شماسة أنه رأى عمرو بن العاص أتى النبي (ﷺ) فقال له: (أبسط يدك لأبايعك وأشترط عليك، إن يغفر الله لي فقال له الرسول (ﷺ): أما علمت ياعمرو أن الإسلام يجب ما قبله، وأن الهجرة تجب ماقبلها، وأن الحج يجب ماقبله) رواه ابن خزيمة مختصرا، ورواه مسلم كذلك. وروى الطبراني في الأوسط أنه يغفر الحاج لمن استغفر له الحاج، وحديث ابن عمر الطويل الذي بين فيه الرسول (ﷺ) فضائل الحج على الحاج، وهي فضائل كبرى، ومنن قصوى يدركها القاصد لهذه الديار بالنية والصدق، راجيا عفو ربه ورضاه. قال ابن عمر: إن رجلان جاءا الرسول (ﷺ) أحدهما من ثقيف وآخر من الأنصار فقال لهما الرسول (ﷺ) إن شئتما سألتاني عن الأمر الذي جئتا من أجله وإن شئتما أخبرتكما، فقال الأنصاري: أخبرنا يارسول الله فقال: جئتما تسألاني عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام وما لك فيه، وعن ركعتك بعد الطواف ما لك فيهما، وعن طوفك بين الصفا والمروة وما لك فيه، وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه، وعن رميك الجمار ومالك فيه، وعن نحرك وما لك فيه، وعن الإفاضة فقال الذي بعثك بالحق لعن هذا جئت أسألك، فقال: فإنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لاتضع ناقتك خفا ولاترفعه إلا كتب الله به حسنة ومحا عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف فهي كعتق رقبة من بني إسماعيل عليه السلام. وأما طوافك بالصفا والمروة فهو كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة فإن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة. يقول تعالى في حديث قدسي: (عبادي جاءوني شعثا غبرا من كل فج عميق يرجون رحمتي فقد غفرت لهم ولو كانت ذنوبهم مثل حب الرمل أو قطر المطر أو زبد البحر)، ويغفر لمن شفعتم له (وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات، وأما نحرك فمدخور لك عند ربك، وأما حلقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة ويمحو لك بها خطيئة، وأما طوافك بعد ذلك، يأتي ملك ويقول لك: تطوف ولا ذنب عليك. ويأتي ملك حتى يضع يده على كتفيك ويقول لك: اعمل فيما تستقبل فقد غفر لك فيما مضى) رواه الطبراني في التكبير والبزار، وروي بعدة وجوه.

وهذا البيت كما قال جابر: (هو دعامة من دعائم الإسلام، فالحاج إن مات فهو ضامن على الله أدخله الجنة وإن رجع رجع بغنيمة وأجر) وهذا الحديث رواه الطبراني في الأوسط وليس بلفظه.

فالرسول (ﷺ) ظل تسع سنين لم يحج كما يروي جابر، ثم أذن لهم في السنة العاشرة، قال جابر وهو يحكي عن هذا الخروج قال: خرجنا معه حتى أتينا فصلى رسول الله (ﷺ) في المسجد، ثم ركب ناقته التي يطلق عليها القصواء، والتف الناس حول رسول الله (ﷺ) وهو بين ظهرانيهم ينزل عليه الوحي.

انطلق رسول الله (ﷺ) وهو يلبي يقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك. فقال جابر: وصل الرسول (ﷺ) إلى الكعبة فاستلم الركن وهو المكان الذي به الحجر الأسود، وطاف (ﷺ) رمل ثلاثا ومشى أربعا، ثم جعل مقام إبراهيم بينه وبين الكعبة فصلى. قال تعالى :(واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) سورة البقرة، الآية:125، حيث قرأ في الركعتين ب (قل يأيها الكافرون)، وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة ب (قل هو الله أحد)، ورجع إلى الركن فاستلمه وسار نحو الصفا والمروة وقرأ قوله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله) سورة البقرة، الآية: 158 .ثم استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال: الله لا إله إلا هو أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده قالها ثلاث مرات، وقال من كان منكم ليس معه هدي فليجعلها عمرة وليحل، وقال لسراقة بن مالك، ألعامنا هذا أو للأبد ؟قال: للأبد. دخلت العمرة في الحج، وشبك بين أصابعه وقال: بل للأبد، وجاء علي ببدن من اليمن للنبي (ﷺ) فحلق للناس وقصروا إلا النبي (ﷺ) ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج فصلى الرسول (ﷺ) بها الظهر ثم العصر ثم المغرب والعشاء ثم الفجر، وبقي طويلا إلى أن طلعت الشمس، وأمر (ﷺ) بقبة تضرب له في نمرة لينزل بها حتى إذا زادت الشمس حتى بطن الوادي، وخطب خطبته المشهورة: التي مطلعها بعد أن أثني على الله وحمده، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا... وأنهى الخطبة وهو يرفع أصبعه السبابة إلى السماء وهو يقول: اللهم أشهد ثلاث مرات، ثم قام فصلى الظهر والعصر جمعا ولم يصل بينهما شيئا، وأتى الموقف وقال: إن عرفات كلها موقف، واستقبل القبلة وبدأ يدعو: يقول علي إن هذا الدعاء الذي دعا به النبي (ﷺ) دعا به الأنبياء كلهم، وهو قوله (لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد هو على كل شيء قدير، اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا) صحيح البخاري في كتاب الدعوات.

وفي حديث آخر أنه دعا بالدعاء الذي رددته كتب السيرة وهو الذي مطلعه: أنا المستغيث المستجير، الوجل، المقر لك بذنبي.... الذي خضعت له رقبته ورغم لك أنفه، فكن لي رؤوفا رحيما...، ثم بعد ذلك أردف رسول اله (ﷺ) أسامة خلفه، وسار من عرفة إلى المزدلفة وكان (ﷺ) يقول: "السكينة.. السكينة"، وصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير بأذان واحد وإقامتين، واضطجع الرسول (ﷺ) حتى طلع الفجر فصلى الصبح بأذان وإقامة، ثم أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة وكبر الله ووحده وهلل حتى أسفر جدا (أي أضاء جدا)، فأردف الفضل بن العباس، ونظر العباس إلى ظعن مرت به، وهن يجرين فأدار الرسول (ﷺ) وجه الفضل إلى الشق الآخر ثم أتى مكانا بين منى ومزدلفة وهو محسر، (مكان هلاك أصحاب الفيل)، وقد أسرع الرسول (ﷺ) في اجتيازه، ثم سلك الطريق المؤدية إلى الجمرة الكبرى، فرماها بسبع حصيات، وهي مثل حصى الحذف وكان يكبر مع كل حصاة، ثم مضى إلى المنحر ثلاثا وستين بيده، ثم نحر واستدعى الحلاق وهو معمر بن عبد الله، وحلق الرسول (ﷺ) شعر رأسه وحلق كثيرون ومنهم من قصر، وقد دعا المحلقين ثلاثا والمقصرين مرة، ثم أفاض إلى البيت وطاف طواف الإفاضة وشرب من ماء زمزم وصلى الظهر ثم رجع إلى منى فبات بها، فلما أصبح انتظر الزوال، ثم سار نحو الجمرة الأولى فرماها بسبع حصيات، ويقول بعد كل حصاة: الله أكبر ، ثم الجمرة الوسطى، ثم الجمرة الثالثة وهي جمرة العقبة. ولما أكمل الرمي رجع من فوره.

خطب الرسول (ﷺ) الناس بمنى خطبتين أحدهما يوم النحر والثانية أوسط أيام التشريق، وأيام التشريق هي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، وقال كما تروي سرى بنت نبهان أنه قال (ﷺ) : (أيها الناس إني والله أدرى لعلي ألقاكم بعد يومي هذا بمكاني هذا) . رواه الترمذي في سننه.

ولما أكمل (ﷺ) الرمي في أيام التشريف الثلاثة أفاض بعد الظهر إلى المحصب فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ورقد ثم نهض حيث اتجه إلى مكة فطاف سحرا طواف الوداع وارتحل الناس معه.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1051
السنة 36
الجمعة 23 ذو القعدة 1424 هـ
الموافق 16 يناير 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1051 الجمعة 23 ذو القعدة 1424 هـ . الموافق 16 يناير 2004م

دور الحديث بالمغرب

الحلقة الأخيرة

■ إعداد الأستاذ: الحسين وجاج

الحديث في العهد العلوي

وفي العهد العلوي ظهرت ميزة أخرى في الاعتناء بالحديث زيادة على الاهتمام العام الذي أولاه ملوكهم للحديث والمحدثين، وقد أدت هذه العناية بالمولى الرشيد إلى حضور المجالس الحديثية بنفسه ومشاركته العلماء الذين يجمعهم للبحث والمناقشة، كما أدت بالمولى اسماعيل إلى أن كون جيشا من العبيد يحمل اسم "جيش البخاري" وكلفه بمهمة حراسة الدولة، والدفاع عن حوزة الوطن، والمحافظة على السنة النبوية، وحينما جمع قواده ورؤسائه أحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم: "أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله (ص)، وشرعه المجموع في هذا الكتاب فكل ما أمر به نفعله، وكل ما نهى عنه نتركه، وعليه نقاتل" فعاهدوه على ذلك، وأمرهم بالاحتفاظ بتلك النسخة، وأن يحملوها حال ركوبهم، ويقدمونها أمام حروبهم، ويدافعوا عنها بكل ما لديهم من بطولة وإيمان، وقد بقيت تلك النسخة تحمل في الأسفار والرحلات والمواكب السلطانية في تابوت مزين وعلى فرس مرموق اعتناء بالحديث، وتقديسه بين خدام الدولة، وتركيز احترامه في نفوس المواطنين.

وزيادة على ماقاموا به من حض العلماء على مدارسة الحديث طيلة أيام السنة من جهة، وما اعتادوه من حضور في بعض الدروس الحديثية العامة التي تلقى في جامع القرويين العامر من جهة ثانية، فقد نظموا مجالس حديثية أخرى تلقى فيها الدروس داخل القصور الملكية خلال الأشهر الثلاثة من كل سنة على طريقة خاصة، ونمط خاص، وجرى العمل بها في عهودهم الأولى.

هذا ولا ننسى المواقف الجليلة، والاهتمام الكبير الذي أبداه عالم هذه الدولة ومحدثها سيدي محمد بن عبد الله الذي نظم بدوره مجالس الحديث واقتنى مختلف كتبه، واستجلب مسانيد الأئمة الثلاثة، وشجع حركة الحديث والتآليف، ونشر السنة بالبلاد، وقرب العلماء، وأمرهم أن يهتموا بنشر كتاب الله وتدريس صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم والمسانيد وغيرها من كتب الصحاح.

وقد سار على نهجه كل من المولى سليمان والمولى عبد الرحمن والمولى محمد بن عبد الرحمن في اعتنائهم بالحديث وتشجيعهم رجاله، حتى أن هذا الأخير استعار نسخة البخاري المعروفة بالشيخة من خزانة القرويين وكلف أمهر الخطاطين بكتابة الجزء الأول الذي ينقصها، ثم جعلها في تابوت مزخرف يصحبها هو والمولى الحسن الأول في تنقلاتهما اقتداء بجدهما المولى اسماعيل.

وهكذا الشأن الاهتمام بالحديث في عهد كل من المولى الحسن والمولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ، فقد كانوا بدورهم يعقدون له المجالس ويستدعون لها العلماء والمحدثين، وكان عمل المولى الحسن مستقرا على ستة وثلاثين درسا خلال الأشهر الثلاثة من كل عام طيلة ملكه حضرا وسفرا، وقد نظم المولى عبد العزيز قراءة صحيح الإمام البخاري، والشفاء للقاضي عياض بالضريح الإدريسي شروق كل يوم معينا لذلك عددا من العلماء الكبار، أما المولى عبد الحفيظ فكان يشارك بنفسه في المناقشات التي تتخلل عادة تلك الدروس الحديثية التي تعقد بحضرته في مختلف المناسبات.

وفي عهد المولى يوسف وولده محمد الخامس استمرت المجالس الحديثية كالعادة إلا أنها اقتصرت على شهر رمضان، وتنتهي في ليلة السابع والعشرين منه.

وفي عهد الحسن الثاني نصره الله ازدادت العناية بالحديث، ونظم المجالس الحديثية في ليالي رمضان بعد صلاة العشاء، واستدعى لها العلماء من مختلف البلدان الإسلامية، وشارك بنفسه في إلقاء بعض الدروس الحديثية أمام كبار العلماء والمدعوين،كما نظم أحيانا دروسا حديثية أخرى في مختلف الأقاليم التي يزورها نصره الله.

ومن العلماء الذين كانوا يقررون الحديث في عهد سيدي محمد بن عبد الله أبو العلاء إدريس بن محمد العراقي، والشيخ التاودي ابن سودة، كما كان يقرره في عهد المولى عبد الرحمن العلامة محمد بن الطاهر العلوي المدغري والتهامي ابن حماد المطيري المكناسي، وعبد القادر بن أحمد الكوهن.

أما في عهد ولده فكان يقرر الحديث في حضرته الشيخ المهدي ابن سودة كما كان يقرره شقيقه أحمد بن سودة في عهد كل من المولى الحسن الأول، والمولى عبد العزيز.

وفي عهد المولى عبد الحفيظ كان يقرره أبو العباس أحمد بن الخياط، كما كان يقرره في العهد اليوسفي المحدث الحافظ السلفي شيخ الجماعة أبو شعيب الدكالي والعلامة ابن القرشي رحم الله الجميع.

وفي العهد المحمدي كان يقرره المحدث الحافظ شيخنا الكبير سيدي المدني بن الحسني وشيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي، والعلامة محمد السائح، وغيرهم من العلماء الأفذاذ.

وفي العهد الحسني تلقى الدروس الإملائية في الحديث، ويختار لها بعض المحدثين والعلماء من أقطار المغرب والمشرق،ومن شيوخ وطلبة دار الحديث الحسنية بالخصوص.

كتاب صدر

صدر عن المجلس العلمي بطنجة نشرة إخبارية عدد3 السنة 2 شوال 1424 دجنبر 2003 توثق للأنشطة المجلس مع ملخصات للمحاضرات التي ألقيت في دائرة نفوذه وسنعمل على تقديم بعضها للقراء لاحقا بحول الله.